الاحتساب في التربية

أ.أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله –عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبهِ أجمعين.

الحمد لله الذي يسَّر لنا هذا اللقاء وأسأله–سبحانه وتعالى–أن يجعله لقاءً مباركًا مرحومًا، اللهم آمين.

نحمد الله–عزَّ وجلَّ–حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنّه وكرمه كما يسَّر لنا هذا الاجتماع أن يجعله خالصًا لوجهه، اللهم آمين.

إن شاء الله نتكلَّم في خلال الثلاثة أيام عن موضوع غاية في الأهمية وهو موضوع: **التربية**، لن نكثر الكلام عن التفاصيل في التربية إنَّما سنتحَّدث عن الاحتساب في هذه التربية، وإن شاء الله يتبيَّن لنا المعنى خلال النقاش.

المقصود على وجه الإجمال أننا نريد أن نبيّن أن التربية بكل الأدلَّة التي ستظهر معنا أنها عبادة وطاعة وقربة مثل الصلاة والصيام والزكاة والحج، وهي على الأمهات والمعلِّمين فريضة عظيمة، فلابد من بيان أنها عبادة وقربة من أجل ألَّا يكون هناك زيغ أو شركة أو نتّبع منهجًا غير منهج النبي الكريم في القيام بهذه الطاعة.

التربية طاعة، فمثلما تصلّين الصلوات وتتقرَّبين لله بالطاعات فكذلك تفعلين بتربيتك للأبناء، بل من أعظم وظائف الأمهات أن يتقرَّبوا لله بتربية الأبناء ولا يتشتَّتوا عن هذا المقصد. وإذا كانت التربية عبادة فشرطي قبول التربية كشرطي قبول أي عمل نعمله قربة إلى الله، الشرطان اللذان يجب أن تحققهما من أجل أن تُقبل طاعتك: الإخلاص والمتابعة. يعني تخلصين النيَّة لله وتتابعين الرسول–صلى الله عليه وسلم–في هذه الطاعة. سنتناقش خلال الثلاثة أيام كيف نتقرَّب إلى الله بهذه التربية.

التربية ليست لعبة وليست أمرًا متروكًا لكِ تفعلينه أو لا، أو تربّي من أجل الناس، أو لأن التربية مفروضة عليكِ، أو تربّي بدنه في أكله وشربه فقط، أو تهملين تربيته، ليس الأمر بهذه الصورة، بل هذه قربى، فلو قصَّرتِ فيها تُعاقبين مثلما تُعاقبين لو قصَّرتِ في صيامك وصلاتك المفروضة عليكِ. ولو أحسنتِ فيها فإنكِ تتقرَّبين إلى الله بها.

مشكلة التربية إحساسنا تجاهها أنها على الرأي، أي كما أتصوَّر أنا أو كما يحلو لي أن أخرج أبنائي! بل التربية قربى وعبادة، الذي يربّي كالذي يصلّي، يعبد الله ويتقرَّب إليه، ولابد من جمع شرطين في هذه العبادة: الإخلاص والمتابعة، وهذا ما نسمّيه بالاحتساب، فعندما تفعلين هذا كله لا تنسي أنكِ تحتسبين.

سأبدأ في فهم الاحتساب الآن ثم نرى كيف أن التربية تحتاج لاحتساب؛ لأنه يطول وقتها وتتعدَّد أصنافها وصورها، ولا بد أنيحتسب قلبك في كل مرة ، يعني توقظينه لصلاة الفجر تحتسبين، تعلّمينه مَن هو الله تحتسبين، تنهين عن المنكر تحتسبين، تصبري عليه تحتسبين، فهي من أكثر الطاعات التي تحتاج إلى احتساب بسبب طول زمنها، فنحن طول الوقت معهم نعبد الله، وبسبب تنوع أصنافها، فالصلاة معلوم وقتها وعددها سواء فرضا أو نافلة، والصيام معلوم زمنه سواء فرضا أو نافلة، وهكذا كل الطاعات والعبادات المعلومة البدنية، لكن التربية وقتها طويل ثم أنها تتنوع وتتغير، فهنا الصبر والسكوت تحتسبينه على الله، وهنا الكلام تحتسبينه، وهنا الشدة تحتسبينها على الله، وهنا التنازل تحتسبينه، فسيختلف، لذلك لابد أن نذكّر نفسنا أننا عابدين طائعين بتربيتنا لأبنائنا.

معنى الاحتساب: قال ابن منظور: الحِسْبةُ مصدر احْتِسابِكَ الأَجر على الله. تقول: فَعَلْته حِسْبةً واحْتَسَبَ فيه احْتِساباً. والاحْتِسابُ: طَلَبُ الأَجْر. والاحتِسابُ من الحَسْبِ كالاعْتدادِ من العَدِّ، وإنما قيل لمن يَنْوِي بعَمَلِه وجْهَ اللهِ احْتَسَبَه لأَن له حينئذ أَن يَعْتدَّ عَمَله فجُعِل في حال مُباشرة الفعل كأَنه مُعْتَدٌّ به[1].

فالمحتسب يحسِب هذه الأمور التي يفعلها على الله مِن أجل أن يؤتيه الله الأجر، كأنه يقول: يارب صبرت مِن أجلك فاحسبها حتى تعطيني أجرك، يارب تكلَّمت من أجلك وليس لأجل الناس فاحسبها عندك أجرًا، فهذا كأنه يحسِب ويعد ويقول: سألقى هذه الأعمال التي فعلتها عند الله. فالمحتسب يريد وجه الله ولا يريد إلَّا رضاه–ولله المثل الأعلى–كأن شخصًا يقول لآخر: احسِب الساعات التي سأعملها عندك مِن أجل أن تعطيني الأجر. فالذي يعبد الله يحسِب فيقول: أنا لا أريد أجرًا من الخلق ولا أمتن على الرب بل الله هو الذي يمتن على عباده أن هداهم للطريق المستقيم، لكني لا أريد مِن الأبناء ولا العائلة ولا الناس الثناء، بل أحتسب أن أجده أجورًا لأن الله وعدني، وليس لأني أمتن على الله، فالمنَّة لله، لكن العبد يحتسب الأجر بمعنى يعُدّ العمل وينتظر حين يلقى الله ما ترتَّب مِن الأجر؛ لأن الله تفضَّل بالأجر وليس لأننا نستحق الأجر وليس منَّة منا على الرب–سبحانه وتعالى–بل المنَّة كلها لله. فالمحتسب يعد أعماله وينتظر الأجر مِن الله لأن الله وعد مَن فعل هذه الأفعال أن يعطيه، فيقول: يارب وأنا فعلت كذا وكذا من أجلك، فكأنه يحتسبها على الله، ولذلك في الحديث: ((**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا**))[2] بمعنى أنه يحتسب في هذا كله أن يعطيه الله الأجر.

قال عُمَر–رضي الله عنه–: أَيُّها الناسُ احْتَسِبُوا أَعْمالَكم، فإِنَّ مَن احْتَسَبَ عَمَلَه كُتِبَ له أَجْرُ عَمَلِه وأَجْرُ حِسْبَتِه.

لا يحتسب إلا مَن شغله لقاء الله ومَن تيقَّن بوعود الله ومعاملته، لا يحتسب إلا مَن بين عينيه الآخرة، هذا الذي يقول: لما ألقى ربي سأقول إني فعلت هذا وهذا مِن أجلك. فالعبد المحتسب تشغله الآخرة، فله أجران: أجر العمل وأجر الحسبة. وأجر الحسبة زائد على أجر العمل، فالمحتسب يفكِّر في الآخرة

(1) لسان العرب لابن منظور.

(2) رواه البخاري في صحيحه، (كتاب الإيمان، باب: صوم رمضان احتسابا من الإيمان، 38)

وهذه أكثر مسألة ضعيفة من مسائل الإيمان، وهي تصوُّر أنّ إليه المصير وأنك ستلقى ربنا وأن كل هذه الأعمال ستُعرض وستُسأل بالتفصيل عن: مالك وولدك وعمرك، بالتفصيل، بالتفصيل! فكأنه يقول: حين تسألني عن كذا، سأقول كذا وحين تسألني عن كذا سأقول كذا، فيعد ويحتسب على الله. فأمر الآخرة يشغل المحتسب، فالذي يحتسب هناك شيء يملأ قلبه وهو الآخرة، والذي قلبه مليء بالآخرة سيعيش الدنيا أطيب وأسهل وأحسن ما يكون، يتمتَّع بالقليل قبل الكثير لأنه مهتم بما سيأتيه، ولذلك هناك في سورة الإنسان التي تتحدث عن أحوال الأبرار، يطعمون ويقولون: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا}.

إذًا ما الذي يثيرك للاحتساب؟ {إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا} فلما كان هذا الأمر شاغلهم {فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا}[1] فعندما تشغلك الآخرة سيصبح الاحتساب سهلًا عليك. فهذا الشخص يستعد، مثلما يحسب الشخص حساب الاختبار والأسئلة التي ستأتيه، فعندما يحسب الشخص حساب أنه سيُسأل: مَن ربك؟ فيقول: (سأقول: وأنا سأشهد يقينًا أنك ربي الرؤوف الرحيم، ربي الذي امتننت عليَّ وأعطيتني وآويتني وكسيتني، وأنا أشهد أنك كسيتني وآويتني وأعطيتني، وأنت وحدك العظيم وأنا عشت في آثار عظمتك وعطائك وبرِّك وسترك وجبرك). هذا شيء أنت تعيشه ثم تشهده، فتصْلُح حينها منك كلمة: أشهد أن لا إله إلا الله؛ لأن صاحب هذا الحال قد امتلأ يقينا بربه وبكمال ربه.

الشاهد أن المحتسب يأخذ أجرًا زائدًا على أجر نفس العمل لأن صاحب الاحتساب قد امتلأ قلبه وتيقَّن بالآخرة ولقاء الله، فمثل هذا المحتسب يُعدّ لكل سؤال جوابًا، ويقول: إذا قلت لي يارب كذا سأقول كذا وكذا، فاقبلني.

هذا الاحتساب المفترض أن يكون في كل الأعمال، تصلِّي الصلاة على وقتها وتحتسب على الله أنك أعظم شيء عندي ولقاؤك أعظم شيء عندي فترمي جوالك وأغراضك وتقوم للصلاة وتحتسب السرعة على الله، وكلَّما فسد وضوءك تتوضأ من جديد وتحتسب على الله أن تبقى طاهرًا لأنه ((لا يحافظ

(1) [سورة الإنسان 9-11]

على الوضوء إلا مؤمن))[1] ، وهذا كله تحتسبه على الله، أي: يارب أنت تراني وتسمعني، فانظر لي وأنا أعظِّمك، واقبل مني هذا التعظيم. هذا في كل شيء، وعندما نأتي للتربية ستكون من أعظم الأشياء التي تحتسب فيها الأجر، فتوقظينه للفجر من أجل الله، تكلِّمينه عن الله بلطف من أجل الله، وتصبرين عليه من أجل الله، وتفعلين تفاصيل التربية من أجل الله، فهذا هو موضوعنا الذي سنعيده ونكرِّره على أنفسنا وهو أن التربية عبادة وطاعة وقربى، فلا تنازعك فيها الأهواء ولا مرادات ورضا الناس، ولا تستسلم فيها لآراء الناس وأهوائهم، بل جاهد فيها وافعل كما يفعل العابد الطائع المصلي الصائم.

قال ابن القيم في زاد المهاجر: "كل عمل لابد له من مبدأ وغاية فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض، لا العادة، ولا الهوى، ولا طلب المحمدة والجاه وغير ذلك بل لابد أن يكون مبدؤه محض الإيمان وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته وهو الاحتساب" [2].

كل الطاعات لابد أن يكون مبعثها ودافعك لها الإيمان المحض، فما يكون دفعك لها إلا أنك مؤمن بالغيب وأن الله مطَّلع عليك وامتن عليك، مؤمن بالتفاصيل التي تورثك أن تكون مندفعًا للطاعة، لا تعمل العمل على العادة ولا الهوى ولا طلب المحمدة والجاه، والتجرد من هذا كله هو الإخلاص. إذًا المحتسب سيتجرَّد من أي أهداف: سواءً كانت العادة أو الهوى وطلب المحمدة، وسيفكِّر في ثواب الله وابتغاء مرضاته. وبالنسبة للطفولة والتربية فالعادة كثيرًا ما تحكمنا فيها، مثلًا أنجبت أبناء فطبيعي أن أربِّيهم-جرت العادة على ذلك-، أو أحيانًا الهوى، تجد الطفل الصغير عند بعض الآباء كاللعبة، يحفِّظونه كلمات سيئة فإذا قالها ضحكوا! ثم يكْبُر قليًلا فيقوم بتصرفات معينة فيصوِّرونها وينشرونها، وكأنه لعبة! ويبقى لعبة إلى أن يكبر وهو لا يعرف من الدنيا إلَّا اللعب، هم أصلًا يتبعون أهواءهم، أو يعلِّمه ويجتهد في تعليمه وتدريسه مِن أجل الهوى، فيقول له: آمالي كلها فيك، أن تكون كذا وكذا، أن تمسك منصب كذا وكذا، تكون طبيبًا مهندسًا...إلخ، فيجتهد ليرسم هواه، أو لطلب المحمدة والجاه، لكي يقال: ماشاء الله، هذه المثل الأعلى في تربية أبنائها.

(1) أخرجه ابن حبان في صحيحه (1037)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

(2) زاد المهاجر إلى ربه لابن القيم.

وهكذا وهكذا من الصور وغيرها التي تكون في التربية التي لا يُنتظر للمربي أن يكون له عند الله أجر التربية الخالصة؛ لأنها بمثابة العادة، ليست هناك قربى إلى الله، لابد أن تكون في التربية مشاعر القربى.

كيف ننظر إلى آمالنا ونحن نربّي؟

قال تعالى: {إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً}[1]

الناس كلهم عربهم وعجمهم مسلمهم وكافرهم، يشتركون في أنهم يربون أبناءهم، الناس يشتركون في الأعمال، لكن يختلفون في الغايات وماذا يريدون ويرجون. المؤمن التقي يرجو مِن الله ما لا يرجو غيره.

قال السعدي في تفسير آية النساء: "أنكم ترجون من الله ما لا يرجون، فترجون الفوز بثوابه والنجاة من عقابه، بل خواص المؤمنين لهم مقاصد عالية وآمال رفيعة من نصر دين الله، وإقامة شرعه، واتِّساع دائرة الإسلام، وهداية الضالين، وقمع أعداء الدين"[2]

إذًا هذه الآمال موجودة في قلوب خواص المؤمنين سواءً كانت هذه الآمال موضوعة في التربية أو في الجهاد أو أي موطن. خواص المؤمنين يرجون ما لا يرجو غيرهم، أي لن تكون غاية آمالي من هذا الذي أربيه أن يكون مهندسًا أو تاجرًا، ليست هذه غاية الآمال، الدنيا ليست غاية الآمال عندكِ، إنما غاية الآمال أن تخرجي شخصًا ساجدًا عابدًا لله، وهذا الشخص سيكون أثره (نصر دين الله، وإقامة شرعه، واتِّساع دائرة الإسلام، وهداية الضالين، وقمع أعداء الدين) فنحن نريد أن نخرج هؤلاء كلهم من تحت أيدينا وهذه أحوالهم، وسنرى كيف سيستمر لنا الأجر، وهذا يرغِّبنا في مسألة الاحتساب، سواءً وصلنا لما نرجوه أو لم نصل، سواءً كان هذا في أبنائنا أو أحفادنا أو مَن بعدهم في ذرارينا، المهم أن نرى بأن نظرتنا لهؤلاء الأبناء أنهم ليسوا زرعًا نحصد نتائجه في

(1) [سورة النساء: 104]

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي.

الدنيا، إنما زرع نريد حصد نتائجه في الآخرة، ولا مانع من حصدها في الدنيا فالذي يريد الآخرة تأتيه الدنيا راغمة، لكن الذي يطلب الدنيا يجد فقره بين عينيه، طوال الوقت متأزم متأزم، فالمقصود {وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ} فحالنا غير حال غيرنا.

يقول السعدي: فهذه الأمور توجب للمؤمن المصدق زيادة القوة، وتضاعف النشاط والشجاعة التامة؛

فالمؤمن عندما يكون إيمانه أنه يريد مِن هؤلاء ما وراء الدنيا، يبقى يبذل ويبذل ويؤمن أن الله شكور لا يضيّع تعبه، فهذا يوجب لك النشاط، فكأنك تقول: يقع عند الله قبل أن يقع في قلوبهم. وأنتم تعرفون أن العبد إذا تقرَّب في يوم النحر وأيام التشريق بذبيحة (أضحية أو هدي) يقع دمها-كما في الحديث-عند الله قبل أن يقع في الأرض، إذا تقبَّلها الله، فنفس الصورة في التفكير، الذي تفعلينه يقع عند الله قبل أن يقع في قلبه، فهذا يوجب لنا زيادة القوة والنشاط في البدن، فحين نرى أننا تعبنا وخارت قوانا في التربية ومللنا مِن تصرفاتهم وأفعالهم والتيارات التي تحيط بهم، حين نرى هذا نشجِّع أنفسنا أن رجاءنا ليس هنا وليس شرطًا أن تكون النتائج هنا إنَّما أهم شيء أن يقبل الله هذا الجهد سواءً خرجت الثمرة أم لم تخرج، ولذلك الذي يخرج مِن بيته مهاجرًا إلى الله، ثم يموت في الطريق، يقول الله عنه: {فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}[1]، فتصوري أنك بذلتِ جهدك في تربية أبنائك ولم تري الثمرات في حياتك، فقد وقع أجركِ على الله ما دمتِ تفكرين في طاعة الله، ولا يقع الأجر إلَّا إذا كنتِ أصلًا تحتسبين على الله، لكن إذا كانت الدنيا أكبر همِّنا ومبلغ علمنا وغاية تعبنا ففي الدنيا الذي ستجدينه تجدينه والذي لا تجدينه لا تجدينه.

هنا نشير إلى أن الشيخ يتكلَّم عن مسألة القتال ونحن نتكلَّم عن الجهاد:

قال السعدي: من يقاتل ويصبر على نيل عزَّه الدنيوي إن ناله، ليس كمن يقاتل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية، والفوز برضوان الله وجنته.

(1) [سورة النساء: 100]

فالذي يفكِّر في التربية لنيل السعادة الدنيوية والأخروية ليس مثل مَن يريد أن يربِّي مِن أجل الدنيا.

قال السعدي: فسبحان من فاوت بين العباد وفرَّق بينهم بعلمه وحكمته، ولهذا قال: {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} كامل العلم كامل الحكمة.

فالله عليم حكيم: هل تريدينه أم تريدين الدنيا، ومن ثمَّ يُفاوِت بين الناس في إراداتهم، ومن ثم يُفاوِت بين الناس في عطاياه لهم، سواءً في التربية أو في غيرها.

الآن نريد أن نصل سويًا إلى صورة الاحتساب، أي: **كيف أفكر من أجل أن أحتسب على الله هذه التربية؟**

أولًا: لا بد أن تعرفي أن الله قد وضع في النفوس الميل إلى الذريَّة، وإذا مال الإنسان إلى الذرية كان من القربى أن يتمنَّى الذرية لصلاح الدين. كلنا نشترك في محبة أن يكون لنا ذرية، فكيف أحوِّل هذا إلى قربى وأحتسب على الله ذلك؟ بأن تتمنى الذرية لصلاح الدين، تتمنى أن يخرج منك عابد طائع لله، فالتفكير في الذرية من أوله ليس للتفاخر وليس لمجرد الميل الطبيعي، وإنَّما التفكير في الذرية لصلاح الدين، أي أن نقطة الاحتساب أن الإنسان يفِّكر في الذرية لصلاح دينه ودينهم.

فعندما يحمل الناس همًّا أن تكون لديهم ذرية كثيرة، سواءً كان هذا بسبب التفكير الباطل أن هذه الذرية تستلزم منه إنفاق، وربما هذا ليس موجودًا في مجتمعنا، لكن الموجود اليوم مع الكسل نشعر كثيرًا بالتعب، ومع الرفاهية نشعر أن هؤلاء الأبناء سيضيِّقون علينا أشياء كثيرة في الحياة، فيأتي الميل إلى قلَّتهم خصوصًا وأن الأعداء يبذلون الجهد في الإيحاء لنا أن كثرة الأبناء بلوى علينا، وهم مِن بغضهم وحسدهم يقولون هذا الكلام، وإلَّا ففي كل تقاريرهم تسمع أنهم في حالتهم يسيرون إلى أن تكون دولهم دول الشيخوخة، ليس عندهم إلَّا عجائز، ليس هناك شباب ولا أطفال، والسبب أنهم ابتدؤوا بالتفكير في قلَّة الأبناء. ونحن نرى أن كثرة الأبناء سبب لإعانة الله على تربيتهم، نعتقد أن كثرتهم سبب لإعانة الله على تربيتهم، أي أن الله يعينك أكثر كلَّما أعطاك أكثر،

لكن هذا متى؟ عندما تحتسبين على الله تربيتهم، أما أنكِ تظلّين تشتكين طوال النهار منهم، وتشعرين أنهم كالهَمّ عليكِ ولا تشعرين بمنَّة الله أنهم يسجدون ويركعون وبأنه أصبح لدي أكثر راكعين وساجدين وكلهم في الميزان يوم الدين، لا تشعرين بهذا وتظلين تشتكين، فتجدين أن بركتهم تُنزع، تُنزع عندما يكفر بها أهل النعمة، وإن شاء الله يتيسَّر لنا الحديث عن صور مِن كفران نعمة الأبناء، هذا اللعب في الأبناء الذي ترونه في المقاطع وتصويرهم في أحوال معينة، هذا اللعب كله مِن كفران النعمة، وإلَّا فهؤلاء المفترض أن نحافظ على فطرتهم ويُنظر لهم على أنهم ثروة، هؤلاء الأبناء صفحة بيضاء تكتب فيهم الإيمان، أنت تكتب وهم يقرؤون مباشرة الإيمان، فالذي تكتبه تكتبه بماء الذهب، وهم مباشرة ينعكسون فيقولون لك الإيمان الذي كتبته فيهم، فتصوَّر الفرق الشاسع بين أن يُؤخذ طفل فيُلعب به فيُحفَّظ الباطل، وإن كان صوته حسنًا فيجعلونه يفعل كذا وكذا ويصوِّرونه وهم مفتخرين به، وبين أن يكون هذا الصغير صفحة للإيمان، يُكتب فيه الإيمان فيتكلم هو بالإيمان، كالفرق بين السماء والأرض. نحن نخشى مِن كفران النعمة وهذا له صور كثيرة.

إذًا نقطة البداية في المشاعر الدافعة للاحتساب: **أننا نتمنَّى الذرية لصلاح دينهم وديننا ونكثّر عباد الله.**

انظروا إلى امرأة عمران، ماذا قالت؟ {**إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**}[1] (محرَّرًا) بمعنى خالصًا مُفرَّغًا للعبادة، وهم في حالتهم كانوا ينذرونه لخدمة بيت المقدس، {**إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**} إنك أنت السميع لدعائي العليم بنيَّتي.

ماذا كانت تريد؟ أن يخرج منها طفلًا خالصًا مُفرغًا للعبادة، وانظري لكلمة (محررًا) بمعنى حصل له التحرير، تحرَّر مِن قيود الدنيا، كأننا كلَّما ربَّيناه على حب الدنيا كلَّما قيَّدناه، وهذه مسألة غاية في الخطورة، عندما ينمو الطفل في وسط عائلة لا تحتسب أجرها على الله، يُقيَّد بأشياء أنها مهمة وعندما تأتي لحظة نزعه أو موته يكتشف أنهم غرَّوه، كذبوا عليه، أشعروه مثلًا أن الشهادة هي نهاية كل شيء والامتياز هو مقياس الصلاح في الحياة، والوظيفة الجيدة هي مقياس أنك جيد، والمال الكثير دليل على أنك ناجح، فقيَّدوه بقيود نهايتها: {**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ**

(1) [سورة آل عمران: 35]

أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[1]. هذه نهاية المسألة الحقيقية، فلما قالت: (محررًا)، قال السعدي: (خالصًا مفرَّغًا للعبادة) معنى ذلك أن المقيد مقيد بشؤون الدنيا.

نرى أيضًا في سورة آل عمران موقف زكريا-عليه السلام-، معروفة قصة زكريا في كونه شيخ كبير وأنه لم يوهب أبناء، ماذا قال؟ ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[2]. ما وصف الذرية؟ أنها طيبة، قال ابن كثير :﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ أي: (ولدًا صالحًا). بمعنى ولدًا صالحًا مهما كانت حال دنياه، وهذا لا يُفهم منه أبدًا أن تتعمَّدي عدم صلاح دنياه، لا، إنَّما الذي قُسِم في الدنيا قد قُسِم، لكن الذي يشغلكِ أن يكون صالحًا في دينه، أمَّا أمر دنياه فلا يمكن أن يخالف أمر دينه، بمعنى لو صلح في دينه سيرضى وينتفع بالقليل، سيكون مباركًا أينما كان وتنشرح له الصدور ويحبه الناس، وسيكون راضيًا عن الله والله يرضيه بالكثير أو بالقليل، فصلاح الدين لا بد أن يأتي بصلاح الدنيا، لكن ما صلاح الدنيا عندنا؟ ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلاَّ﴾[3] هل هذا صلاح الدنيا عندنا؟ يقول الله: (كلا)، ليس هذا صلاح الدنيا.

إنَّما صلاح الدنيا أن تكون صالحًا في دينك، وإذا صلحت في دينك فالقليل والكثير ينفعك، وإذا صلحت في دينك فالرضا الذي ستملكه يجعلك صحيحا نفسيًا. الناس اليوم ناجحون لكن مرضى نفسيون، الناس اليوم قد وصلوا إلى مراتب في الدنيا لكن عندما تكلِّمه لا تجده سويًّا نفسيًّا، يعني إمّا مُتكبِّر أو متعقِّد أو خائف مِن الناس وإما وإما، فحتى الدنيا لم تكن صالحة، إذًا (ذرية طيبة) تعني: ولد صالح. فمن الاحتساب أننا نتمنَّى عباد صالحين،

(1) [سورة الحديد: 22-23]
(2) [سورة آل عمران: 38]
(3) [سورة الفجر: 15-17]

نتمنى هذه الذرية من أجل الساجدين العابدين، من أجل أن نأتي بالمؤمنين، من أجل أن يكثر هؤلاء الداعين لرب العالمين، هذه أول المشاعر التي تدفعك للاحتساب، أنك تفكر أن يكونوا وراءك وأمامك من العابدين الطائعين.

زكريا-عليه السلام-أيضا في سورة مريم يأتي الخبر عنه أنه يقول: {وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا}[1]

قال السعدي: "وأن طلبه للولد، ليس كطلب غيره، قصده مجرد المصلحة الدنيوية، وإنَّما قصده مصلحة الدين، والخوف من ضياعه"[2].

بمعنى أنكِ عندما تعبدين الله بهؤلاء الأبناء يكون تركيزكِ أنه من وراء إنجابهم وتربيتهم ونصحهم وإصلاحهم المحافظة على الدين، حتى لا يضيع الدين بضياع أهله، وأنتم تعلمون أنه إذا لم يوجد مصلِّين لا توجد صلاة، وإذا لم يكن هناك صائمين لا يوجد صيام، فإذا قَلَّ المستقيمون سيصبح الدين في حالة مِن الغربة. الشاهد أن زكريا-عليه السلام-كانت هذه حالُهُ في خوفه مِن ضياع الدين. إذًا نحن تفكيرنا دائر حول أن هؤلاء الذين ننجبهم نود أن يكونوا عبَّادًا صالحين. نأتي لشيء من التفصيل في هذه الحالة:

كلَّما زاد الوالدان معرفة بالدين وتفاصيله، أثَّر ذلك في رغباتهم في الأبناء. بمعنى أن رغبتك في صلاح الأبناء مبنية على معرفتك بالدين، كلَّما زدت معرفة بالدين كلَّما شعرت أنه لو وهبك الله هؤلاء الأبناء ستستطيع أن تنقل لهم الدين، وعندما يضْعُف عِلْم الآباء والأمهات بالدين يشعرون أن نقله وتعليمه غاية في الصعوبة. سنزيد هذا المعنى بيانًا: مَن عرف أن أول صفات الدين أنه عقيدة وعمل، وعرف أن الرب الكريم أتى بهؤلاء الأبناء ورزقنا إيَّاهم مستعدين لتكوين هذه العقيدة ومستعدين للقيام بالعمل الذي تأمرهم به، لو عرفت هذا سترى أن تربية الأبناء نعمة مِن الله لأن الله لما أعطاك إيَّاهم ما

(1) [سورة مريم: 5]

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي.

أعطاك صخرة لتحفر عليها، إنما صفحة بيضاء تكتب عليها، وهذا ما يسمى بالفطرة السوية في الشريعة، فكل الأبناء الذين وهبهم الله لنا أتوا مِن بطوننا مفطورين على الفطرة السوية، وهذه الفطرة السوية تجعلهم أول ما تخبرهم عن عقيدتهم يقبلونها.

نأتي للكلام بالتفصيل: اتَّفقنا على أن الذي يعرف الدين سيسهُل عليه الاحتساب في تربية أبنائه، لأنه يعرف معلومتين:

- المعلومة الأولى: أن الدين عبارة عن عقيدة وعمل.
- والمعلومة الثانية: أن الطفل يأتي على فطرة سوية، وهو بهذه الفطرة السوية يستطيع أن يستقبل العقيدة ويأتمر بالعمل.

فلو عرفتِ أنه من اليسر والسهولة أن تعلِّميه العقيدة وهو بذلك سينفعل بالعمل، هذا سيزيد عندك الاحتساب، وهذا سيتبيَّن أكثر عندما نناقش مسألة العقيدة.

كل ما يتصل بالإيمان بالغيب ويتَّصل بعقيدة الإنسان، وكل ما يتصل بالغايات والمقاصد يتصل بعقيدة الإنسان. الطفل الصغير ربنا خلقه يحتاج كل مفاهيم العقيدة إلا أنه لا يعبِّر عن حاجته، لا يستطيع الطفل الصغير أن يقول: أحتاج أن تعلِّموني عن الله. كما يستطيع أن يقول: أحتاج أن آكل. الرضيع حتى يعبِّر عن جوعه بأن يبكي، وعندما يكبر يستطيع أن يقول: أنا جائع. وعندما يكبر أكثر يتصرَّف هو بنفسه.

إذًا في الحاجات الحسيَّة هناك تطور واحد واضح، لكن في الحاجات الفطرية من جهة الغيب، يصبح عمره 3 أو4 أو 5 سنوات لا يستطيع أن يعبِّر جيدًا عن حاجاته التي تتصل بالعقيدة، بل لو بقي ما عُلّم ماذا يحتاج قد يصل للأربعين والخمسين وهناك شيء ضائع بداخله ولا أحد أشبعه ولا أحد قال له الحقيقة. فالطفل يولد ومعه فطرة سوية لها حاجات عظيمة ينتظر مِن والديه أن يتقدموا فيشبعوه مِن هذه الحاجات دون أن يسألهم لأنه لا يفهم ولا يستطيع أن يسألهم، لكن دائمًا تدور في عقله هذه الأمور المسلَّم بها في قلبه. يأتي الطفل وهو يعلم أنه ما مِن فعل إلَّا ولا بد له مِن فاعل، بمعنى أنه لا يطرق الباب

طارق وهو عمره سنة ونصف، ولا يقول: مَن على الباب؟ لأنه متأكد أن فعل طرق الباب لابد له مِن فاعل، ولو أنتِ خلفه وضربتِه، هل تستطيعين أن تقنعينه ألَّا أحد ضربه؟ لا تستطيعين؛ لأن فطرته تقول: إن كل فعل لا بد له مِن فاعل. هذه المعلومة التي في داخله تكبر معه وينظر للأشياء حوله، فإذا لم تجيبيه من بداية أن يفتح عينيه أن هذه الأفعال التي تراها فاعلها الله، يبقى مكانها فراغ، هو قد لا يستطيع أن يقول لكِ: أجيبيني أو يعبِّر عن سؤاله بالصورة التي تدفعك لإجابته، لكن هذه حاجة شديدة جدًا في داخله، والذي يعرف الدين جيدًا يعرف أن هذا الطفل الصغير أتاه هبة من الله فتكونين مثلا مستعدة تمامًا أن تعلّميه التفاصيل، فكل مرَّة مثلًا تشرق الشمس تقولين: أخرجها الله. وكل مرَّة تغرب الشمس تقولين: غربت بأمر الله. هو يحتاج وإن كان لا يستطيع أن يعبِّر.

فمِمّا يساعدنا على الاحتساب معرفة الدين، فالذي يعرف الدين يعرف أنه بكل سهولة يمكن أن نوصِّل لهؤلاء المستعدين لأن يصلهم الدين، فلا يحتاج محاضرات ولا جلسة ثقافية، إنَّما يحتاج أن تقدِّري نعمة الله، فتقولين إن هؤلاء أتوا ومعهم فطرة سوية فيها مستحسنات ومستقبحات، فيحتاجون منِّي أن أعرف ماذا يحتاجون فأطعمهم بهذا العلم. فالمحتسب للأجر يعتبر الأبناء مكان مِن أماكن التعليم، ومن المعلوم أنكِ إذا علَّمتِ أي أحد–الأبناء أو غيرهم–ماذا سيكون الأجر؟ كل مَن تعلمينه سيكون في ميزانك، ولو علَّم هو غيره يصبح هو ومَن علَّمه في الميزان، وهكذا تبقى السلسلة لا تنقطع، فعليكِ تعليمه العقيدة والعمل، ومن العمل مثلًا تعليم سورة الفاتحة، ولنفترض أن عندك خمسة أبناء طال عمرهم وكل واحد منهم أصبح عمره خمسين عامًا، وكل واحد منهم تعلَّم الفاتحة في ست سنوات حفظها وبدأ يصلِّي بها، كل هذا العمر بكل مرَّات القراءة في الميزان، ثم هؤلاء الأبناء يأتون بأبناء فيعلِّمونهم وتجري الأجور، ولكِ أن تتخيّلي إلى متى ستبقى الأجور متَّصلة. هذا في العمل ومِثله وأعظم منه في الاعتقاد. فلو سألكِ: أين الله؟ فتجيبين بما عليه أهل السنة والجماعة مِن الاعتقاد السوي: أنه في السماء. كما ورد في حديث الجارية الصغيرة لمَّا سألها النبي–صلى الله عليه وسلم–: أين الله؟ فقالت: في السماء. ثم هو يسمعكِ تقولين هذا الأمر وتعلِّمينه إيَّاه، ثم يسألك فتكرِّرين وتصبرين عليه وتعرفين صفته أنه يحتاج التكرار، فتحتسبين التكرار، وتحتسبين كل مرة قلبه يتوجَّه لله ويعتقد أنه في السماء، وهذا يكون في ميزانك، وهو سيستقبل كل ما تعلِّمينه بلا معارضة، وهذا يزيدك في الاحتساب.

ماذا عن تكراره للسؤال؟ هذا ليس معارضة منه وإنَّما لأن صفة الصغير الحاجة للتكرار، فيحتاج مثلًا يسمع هذه المعلومة 100 مرة مثلما تحكي له القصة 100 مرة، هو يحفظ القصة ومع ذلك يطلب تكرارها؛ لأن هذه حاجة في داخله، فلا تظني وراء سؤاله المكرر أنه لم يقتنع، هو الآن منقاد فكريًا وليس عنده معلومات سابقة تُعارِض ما تقولين، هو أبيض وأنتِ تكتبين على صفحة بيضاء فهذا يسهّل عليك الاحتساب أنك تفكرين بأن ما تكتبينه سينفعل معه الزمان كله، وأن هذا الاعتقاد سينقله، وأنه لو أتاه أي تفكير مُعارض سيدفعه بما علّمتيه إياه أي معارضات. فهذه أمور تساعدك على الاحتساب:

- **الأمر الأول: أن الدين عقيدة وعمل وليس عمل فقط.**

فإننا إذا تعلَّمنا الدين والشريعة كما ينبغي وعرفنا أنه عقيدة وعمل، زاد احتسابنا. هناك كثيرون يقولون للأبناء: صلِّ. يقول له ذلك في الوقت المناسب وعمره 7 سنوات، ويقول له: صُم، في الوقت المناسب، هل هذا يعني أنه من سن 3 إلى 7 سنوات أتركه هملًا؟ هذا غير صحيح، لو كنتِ تعرفين ماهي العقيدة الصحيحة لرأيتِ أنه مِن سن 3 سنوات إلى 7 سنوات فترة ذهبية لكتابة العقيدة الصحيحة، وكل ما تظنين أنه لا يفهمه هو سيخزّنه ويستعمله على أنه مُسلَّمات، وبالتالي مهما أتت معارضات فلن يقبلها. فإذًا كلَّما تعلَّمنا الكتاب والسنَّة كما ينبغي كلَّما زاد احتسابنا في الأجر، لأنك لما تعْلَمين التفاصيل في العقيدة تقولين: لو علَّمتُهُ هذا الأمر سيكون حاله كذا، فتهتمين أكثر بتعليمه لأنك تعْلمين ما وراء التعليم.

- **الأمر الثاني: أن الطفل معه فطرة سوية مستعدة للتعاليم الإلهية والعمل المشروع.**

وهذا يدفعكِ لأن تعلِّميه مباشرة لأن الحق معك وهو مستعد لقبول الحق ولا شيء يمنع مِن التعليم. عندما تعلمينه الحق-لأنه أتى على صفحة بيضاء-سيكون صفته الثبات، فالذي يكتسبه الصغير في مرحلة الطفولة قبل البلوغ صفته الثبات.

بِقدر ما يكون هذا الأمر ثابتًا في نفسه عندما تأتيه معارضات لا يتأثر بها، وعندما يتقدم سيكون داعيًا إلى ما ثبت به. ولذا حين تراجع نفسك ستجد أنه حين يُقال لك كلام باطل وأنت تربَّيت على الحق، قد لا تعرف كيف تجيبه على شبهته بالتفصيل، لكن تقول لنفسك بأن هذا كلام غير مقبول. وهذا يأتي مِن تأسيس الحق، وتأسيس الحق فرض، ودفع الباطل نفل. ليس كلما نزلت شبهة دفعناها، يكفيك معرفة الحق، فمعرفة الحق فرض ودفع الباطل نفل، ودفع الباطل هذا لابد له مِن علم، وهذا دور العلماء وطلبة العلم الكبار، لكن أنت دورك أن تعرف الحق وإذا عرفته دفعت الباطل إجمالًا لكن لاتدخل في نقاشات.

متى أصل بطفلي لهذه النتيجة؟ عندما أحتسب على الله بأنه كل مسألة مهمة في العقيدة يحتاجها أعلِّمه إياها، وهذا يعود بنا لنقطة مهمة وهي: ما أدراني أنه يحتاجها؟ هذا الذي يحتاج أن تحتسبي فيه، يعني مِن احتسابك في التربية أن تحتسبي على الله أن تتعلَّمي، لابد أن تتعلّمي، لا يصلح أن تحفِّظينه سورة الإخلاص وهو في رياض أطفال وأنت لا تعرفين ما معنى الصمد، لابد أن تحتسبي على الله أن تتعلّمي وتفتشي. فحين يقرأ مثلًا سورة الكافرون، سواء كان يخطئ فيما يحفظه أو يسألك عنه، احتسبي على الله أن تقومي في تلك اللحظة للتفسير فتقرئين معه وتفْهمين وتحتسبين على الله أن تفهّميه، ولا تخطؤوا وتصفوا الأبناء بأنهم لا يفهمون، هم قد وُهبوا استعدادًا للفهم، لكن ليسوا كلهم يستطيعون أن يعبِّروا لكم أنهم يفهمون، لأن صفاتهم مختلفة، فمِن الأطفال ما يسمى بـ (البئري) تكلِّمينه وتكلِّمينه فيأخذ منكِ، ثم إذا سألتِه لم يجاوبكِ، فتظنين أنه لا يفهم منكِ، وتغترين بالطفل الآخر الذي في بيتكم (الانعكاسي) الذي تقولين له فيقول لكِ، فتعتقدين أن هذا يفهم وذلك لا، ليس شرطًا، ما داموا طبيعيين فهم يفهمون لكن متى يُخرجون ما فهموا؟ ليس الآن. فلو عرفتِ الدين واحتسبتِ على الله التعلُّم وعرفتِ أنه مستعد ستستفيدين استفادتين:

- أولًا أنكِ تتقرَّبين إلى الله بالتعلُّم.
- ثانيا: أنكِ تضعينه في هذا القلب الصافي.

فإذا وضعتِه فكأنكِ رميتِ أساسًا في بنيان ثابت، فيكبر ويعتمد بنيانه على ما علَّمتِه، فإذا كبر تجدينه حاملا للحق مدافعًا عنه ناشرًا له؛ لأنك وضعتِه في الأساس، لكن نظرك للطفل على أنه ليس له أدوات يستقبل بها العلم وأنه لم يُخلق على صفة مستعد فيها لأن يقبل دين الله، هذه النظرة ثُمة في حكمة الله، فكيف يُكَلِّف الإنسان أن يعبد الله وهو لم يأتِ مستعدًا لقبول دين الله! بل هو جاء مستعدًا وأُعْطِي لوالديه هبة، صفحة بيضاء يكتبون فيها.

أريدكم أن تتصوروا كيف يكون حال الطفل عندما تعلِّمونه؟ الطفل يولد بدون أسنان حتى يرضع، وكلَّما كبر خرجت له أسنان فلا يصلح أن يرضع الأن لانه سيعض أمه في هذا السن لو رضع، فإذا اكتملت أسنانه تطعمه شيء آخر، وهكذا الطفل يأتي صفحة بيضاء من ناحية المفاهيم، كأنه ليس له أسنان، ثم أنتِ تعلِّمينه مفهومًا مفهومًا فتخرج له الأسنان، ثم يبدأ يتعلَّم العلم كأنه يبدأ يأكل، فأعطاكِ الله الطفل بدون أي معلومات سابقة لكن عنده استعداد لأن يرضع. ومن الآيات العجيبة –وهذا يعرفه مَن حضر الولادة–أنهم يخرجون الطفل مِن بطن أمه فإذا وضعوه على صدرها رضع مباشرة، كيف هذا؟ الله خلق كل شيء وهداه كيف يأخذ مصلحته، فتصوري نفس الصورة بالضبط، فيبدأ يفهم الخطاب ويرد الجواب في سن 3 سنوات، كأنه يقول لكِ: أنا مستعد لتعلُّم العلم الآن، فالمفترض أن نرضعه حتى يخرج له سن في عمر 7 سنوات، وفي 8 سنوات سن آخر في المفاهيم، وهكذا، حتى يبدأ يأكل بنفسه، ففي 3 سنوات نحن نؤكله، وفي 8 و 9 سنوات لا نزال نفهِّمه، ثم عندما يصل للبلوغ يبدأ يتعلم هو بنفسه، فكيف نضيّع هذه الفترة التي أعطانا إياها الله– عزَّ وجلَّ– ، فمن 3 إلى 7 سنوات أنتِ تعبدين الله بأن تعلِّميه، كأنكِ تفرشين سجادتك وتصلِّين، تعلِّمينه أن ربنا كريم رحيم هو أطعمنا وسقانا، وتعيدين وتعيدين، وتحتسبين على الله هذا التعليم كأنك تصلِّين صلاتك وتعبدين الله بعبادات عملية، فهذه الفترة الثمينة من حياة الأطفال أُهملت وتُركت بسبب:

أن عندنا إحساس أنه لا يفهم.

والشيء الثاني المهم: أننا نحن أيضًا غير فاهمين، فنقول: طفل عمره 3 سنوات ماذا أقول له؟

انتبهي الدين عقيدة وعمل، والعقيدة تأتي عن طريق الكلام، فكل يوم تقولين له: هذا رزق الله، الله يرزقنا، الله يحفظنا، الله معنا، الله صمدنا، الله نلجأ إليه إذا احتجنا. وتعيدين وتعيدين، فتُخرجين طفلًا قد اجتمعت فيه العقائد الصحيحة، وقت ما يحتاجها تتحرَّك فيه، مثلما تعلِّمينه الحروف ثم الكلمات ثم تقرئين معه الجمل حتى يقرأها، ففي البداية يأخذ كلمة كلمة لا يتصرَّف جيدًا لأن معه حروف فقط، ثم تصبح معه الكلمات ثم الجمل ثم يستطيع أن يقرأ قطعة كاملة، ثم تُخرجينه للحياة فيفهم الدنيا وتصبح معه مفاهيم الدين فيفهم الدنيا على حقيقتها ويفهم أن الدنيا اختبار، يأتي يقول لكِ: أصحابي لا يحبونني. فتقولين له: أنت منذ زمان سمعت أن كل شيء رزق، وحتى محبة الناس رزق، وربما صُرفت محبتهم لشرهم، الله الذي يأتي بالقلوب وهو الذي يصرفها، فأنت أطِع الله وهو يأتي بالقلوب، والقلوب أرزاق مثل الطعام والشراب. لا نقول له بأن هؤلاء لا يفهمون ولا يستحقُّون. أنتِ وضعتِ أساسيات، حروف ثم كلمات، فحين تأتي المواقف كأنكِ تقولين له: استعمِل ما تعلَّمته، وأنتِ تفسرين له، فيفهم الحياة. أعرضوا عنك أصحابك اختبارًا من الله، أقبلوا عليك اختبارًا من الله، يحبونك اختبارًا من الله، يبغضونك اختبارًا من الله، كل هذه اختبارات {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ}[1] هذا المعنى العظيم لو تفهمينه بالتفصيل لابد أن يخرج مع أنفاسك للصغير.

الشاهد أننا غالبًا لا تكون حالتنا دائرة حول الجهل بالدين ويترتب عليها عدم إعطاء الصغير حقه من الدين، فإذا أنت جاهل ستُخرج جاهلًا مثلك، والجهل يجر جهل وأجهل منه، فتصبح هناك حالة مِن التدهور، ومِنَّة الله أن أعطانا الأبناء بهذه الصفة العجيبة، فنحتسب على الله أن نتعلَّم ونعلِّمهم. وبذلك تناقشنا في نقطتين تدفع للاحتساب:

- الأولى: أن شعور حاجتنا للذرية لابد أن يتحوَّل ليصبح حاجة لأن نترك وراءنا صالحًا، انظري لأبنائك سواء كانوا كبار أو صغار، سواء أبنائك الذين خرجوا من بطنك أو الذين تعلِّمينهم وتدرِّسينهم، أيًا كانت صلتك بهم، تنظرين لهم إلى أنك ستتركين وراءك ما يثقِّل لك الميزان، فلا

(1) [سورة الفرقان: 20]

ننظر أنه من الطبيعي أن نحب أبناءنا–خصوصًا الذين خرجوا مِن بطوننا–بل ننظر له نظر من رُزق ما يتركه وراءه، ويبقى الذي وراءه يعلِّم والذي وراءه يعلِّم وهكذا.

- الثانية: نحتسب على الله تربيتنا لأبنائنا أننا نعلّمهم فنتقرَّب إلى الله بالتعليم، القربى إلى الله بالتعليم، فلما تعلّمين تحتسبين على الله، فكأنكِ تقولين لله: بذلت ما أستطيع فعلّمتُه. التعليم نفسه لدين الله موطن من مواطن الأجور، فاحتسبي على الله تعليمه، واحتسبي على الله تعليمك لنفسك لتعليمه، هذه كلها مواطن للاحتساب.

- الثالثة: سنحتسب أيضًا على الله أننا نربّيهم امتثالًا لأمر الله، فالله–عزَّ وجلَّ–في كتابه يقول: {قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا}[1] قُوا فعل أمر، فالذي يربّي الأبناء يطلب وقايتهم من النار. يحتسب على الله أنه يمتثل أمره، ففي كل مرة تبعدينهم عن النار وتوقظينهم لصلاة الفجر، تحتسبين على الله أن توقظيهم من أجل أن تنقذيهم من النار، فكل الحيل التي تقومين بها ليقوموا للصلاة احتسبيها على الله، فمثلًا عندك شاب يكسل عن صلاة الجمعة، وعنده سيارة ويخرج، فاحتالي عليه أن يخرجك معاه نهار الجمعة، احتالي عليه أن تخرجي أنتِ وهو وتصلوا في مسجد، احتالي عليه أن يفعل في النهار أشياء يحبها حتى يأتي وقت الصلاة وهو متيقِّظ حتى ينزل الصلاة، احتالي عليه واحتسبي على الله هذا الاحتيال لتدفعيه حتى يصلّي. مثلا تعودين العصر معهم من المدارس وأنتم جميعًا متعبون، أشغليهم، اجعليهم يحكون لكِ واحكِ لهم، اختاري ما تميل إليه نفوسهم واقضِ هذا الوقت حتى يبقوا يقظين لصلاة العصر، وتحتسبين هذا كله على الله مهما كان عمرهم صغيرًا أو كبيرًا، فأنتِ تدفعينهم للقيام بالطاعات وإن ضحيتِ أنتِ بشيء من وقتك.

([1]) [سورة التحريم: 6]

في لقاءاتنا هذه الثلاثة أيام ليس مقصودنا الكلام عن تفاصيل التربية إنَّما ماذا نفعل في قلوبنا وقتما نمارس التربية، وقتما تمارسين التربية والتعليم لأبنائك أو لغيرك لابد من أمور-كما ذكرنا-:

- الأمر الأول: أن تحتسبي أنكِ تتقرَّبين إلى الله بذلك، طاعة مثل بقية الطاعات، والذي يدفعك للاحتساب الشعور أن هبة الذرية مع أنها هبة توافق الحاجة الإنسانية لكن الصحيح أن الإنسان يتمنَّى فيها أن يترك وراءه ذرية صالحة.

- الأمر الثاني: أن مَن تعلَّم الدين وعرف أن الله أنزل الدين كاملًا وخلق الإنسان مستعدًا لهذا الدين، يجد الأبناء فرصة عظيمة للتعليم ويحتسب على الله بذل الجهد في تعليمهم، فهم فطرة سوية وقلوب صافية وأنتِ معك العقيدة الصحيحة والعمل الصحيح، ففي كل فرصة تعلِّمهم وتزداد أنت علمًا بحاجتهم، ففي كثير من الأحيان يكون الإنسان عنده جهل في أمور وهذا الجهل قد يمنعه من تعليم الأبناء، فيحتسب على الله أيضًا أن يتعلَّم مِن أجلهم.

- الأمر الثالث: أننا نحتسب على الله التحايل وبذل الجهد والوقت والتضييق على النفس مِن أجل أن أهيّء لهم أوضاعًا لصلاح دينهم، فنحن نبذل مهجة فؤادنا لصلاح دنياهم، المفترض أن كُل مَلَكَاتنا نبذلها في صلاح دينهم، وسيأتي-إن شاء الله-كلام مهم جدًا حول أن المقصد من هذا كله إيصال مشاعر تعظيم الدين والقرآن وكل ما يتصل باستقامة الإنسان في قلبه، فنحن ونحن نحتسب على الله هذا الأمر نحتسب عليه-سبحانه وتعالى-بذلنا وضحّنا لمشاعر تجعلهم يعظِّمون الدين، وكل الذي تبذلينه سيكون في الميزان سواء كلام قلتِه أو أظهرتِ جهدًا في بيان مشاعر: مثلًا شعورك أنكِ تحِبّين الله، تحبّين وقت القيام، هذه المشاعر التي تمتلكينها تحتاجين أن تحتسبي على الله بيانها وإظهارها وتعليمها لأبنائك، فهم يحتاجون أن يتعلَّموا علمًا وأيضًا يحتاجون أن يملكون شعورًا تجاه شعائر الدين وتعظيم رب العالمين، وإن شاء الله غدا يأتينا في مبدأ الكلام مناقشة حول هذا الأمر الأخير وهو الاحتساب على الله بإظهار الشعور المعظم للدين.

اللـــقـــاء الثـــــانـــي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الثاني في موضوعنا الذي نعتبره مِن أهم المواضيع وهو موضوع (الاحتساب في التربية). وكنا قد اتفقنا بالأمس على أننا لن نتكلَّم في هذه الجلسات الثلاث عن تفاصيل التربية وإنَّما كنا نريد أن نتكلَّم في عقيدة المربية حال قيامها بالتربية. ولابد أن تكون هذه العقيدة دائرة حول أنها تقوم في عملية التربية بالعبادة. كنا نريد أن نرى عندما تصبح التربية عبادة كيف سيكون مَسْلكنا كمربّين؟ كيف سيؤثر هذا التفكير على سلوكنا؟ وهكذا. بمعنى: ماذا يجب أن يكون في قلوبنا حال التربية؟ ماذا يجب أن نحتسب على الله؟ ماذا يجب أن يكون مسلكنا في التعامل معهم؟ وكيف نعتقد فيهم؟

اتَّفقنا على معنى الاحتساب، وأنه مِن الحساب، مِن العدِّ، وأنّ مَن يربِّي يُفكر في عَدِّ أعماله مُحتسبًا هذه الأعمال على ربِّه حينما يلقاه، غير ممتنّ بها؛ بل طالبًا من الله-عزَّ وجلَّ-أن يقبله. إذًا المحتسب تفكيره في الآخرة، وهذه أهم ميزة في المحتسب عمومًا (المحتسب في صلاته، المحتسب في صيامه، المحتسب في تربيته لأبنائه) الآخرة دائمًا على باله. ولذلك لمَّا وصف الله-عزَّ وجلَّ-الأنبياء والمرسلين وصفهم بوصف يدل على هذا المعنى، قال تعالى: {**أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ**}[1] ما هي هذه الخالصة؟ أن تبقى الدار الآخرة مذكورة عندهم لا ينسونها، فإذا بقيت الآخرة مذكورة عندهم فعلوا مِن أجلها.

المحتسب يريد حين يلقى الله أن يقول له: هذه الأعمال التي أعملها أوجرني عليها، قني أنا وذريَّتي بها من عذاب النار، اجعلني مِن أهل الجنة ومِن الأبرار.

متى ستكون هذه الأعمال نافعة للعبد؟ إذا حقَّق شرطين كما اتَّفقنا: الإخلاص والمتابعة. والإخلاص معناه أنك لا تربِّي إلَّا مِن أجل الله، لا عادة تربي مِن أجلها ولا مِن أجل مصلحة تتصل بالدنيا ولا هوى، وإنَّما مِن أجل أن تجد هذا عندما تلقى ربك. اليوم نزيد هذا المعنى زيادة.

(1) [سورة ص: 64]

كما ذكرنا أن الاحتساب يحتاج إلى شرطين: أن تكون مخلصا وتتابع. مخلص: أي لا تفكر إلا في لقاء الله. ومما يزيد هذا المعنى ما سنقرؤه الآن.

يقول تعالى في سورة الزمر: {إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[1] معناها أن المحتسب الذي يُفكِّر في أن يربِّي مِن أجل الله يُفكِّر في هذه الخسارة. كيف تحسبين خسارتكِ في الأبناء؟ ما هي الخسارة في الأبناء؟ الخسارة أن تخسريهم في ذاك اليوم، هذه هي الخسارة. فالذي يربِّي ويريد وجه الله، أحد الدوافع التي تدفعه لذلك أن علاقتنا بأبنائنا هؤلاء إمَّا ربح وإمَّا خسارة، لكن هذه الخسارة خطيرة جدًا، ولذلك حين نقرأ كلام المفسرين كما ذكر ابن كثير في قوله تعالى: {إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} قال: "إنما الخاسرون كل الخسران: {الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} أي: تفارقوا فلا التقاء لهم أبدًا، سواء ذهب أهلوهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار، أو أن الجميع أسكنوا النار، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور، {ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} أي: هذا هو الخسار البيِّن الظاهر الواضح"[2]. معنى ذلك أن المحتسب لتربية الأبناء مما يجعله يربِّيهم مِن أجل الله ذكرى الدار الآخرة، هذا على وجه العموم، ومِن ذِكْر الدار الآخرة ذِكْر أن الخسارة في الدار الآخرة خسارة عظيمة، وصفها تعالى بـ (الخسران المبين) سواء هو دخل الجنة وترك أبناءه ولم يدخلوا الجنة أو–العياذُ بالله–الجميع في النار، كل هذه خسارة عظيمة.

فالمحتسب الذي يربِّي، يحتسب على الله بتربيته أن يقيهم بهذه التربية عذاب النار، أن يقيهم الخسارة، والخوف دائمًا مِن عدم الاجتماع! نحن حينما نربِّي أبناءنا ويكونون لُحْمةً معنا طول الوقت، لا يكون في خواطرنا أبدًا أن هؤلاء سيكونون في يوم من الأيام بعيدين عنا، وحتى عندما تُفرِّقنا الأماكن وتُفرِّقنا الأحداث: فالبنت تتزوَّج وتسافر إلى بلد آخر، والولد يعمل ويذهب، لا زال الأمل في الاجتماع كبير، وهذه في الحقيقة ليست الفُرقة، فالفُرقة فُرقة يوم

(1) [سورة الزمر: 15]

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

الدين، هذه الفُرقة الحقيقية؛ ولذا في سورة الروم يخبرنا الله هذا الخبر بصورة توقع الخوف في القلب، قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ}[1] يتفرّق الناس. فإذا لم تحتسب على الله وأنت تربي هذه التربية قد يضيع الأبناء ولا يحصل الاجتهاد وتحصل هذه الخسارة العظيمة!

تكلَّمنا أمس في مبدأ اللقاء واليوم في مبدأ اللقاء وغدًا-إن شاء الله-سنتحدَّث أيضًا في مبدأ اللقاء عن **مثيرات الاحتساب**. أي: ما الذي يجعلك تحتسب؟ فبالأمس اتَّفقنا على أن مثيرات الاحتساب لنا أن نَعْلَم أنَّ هؤلاء الذين سنعلِّمهم سيمتد عُمْر وراء عُمْرنا، ولو كان لديكِ خمسة أو ستة-أسأل الله أن يحفظهم جميعًا ويبارك فيهم-وبقوا عشرة أو عشرين أو خمسين عامًا، وعلّمتيهم وأنتِ مُتِّ، فهذا عُمْر وراء عُمْرك، هذا امتداد، وهؤلاء يُرزقوا بأبناء ويُعلّموهم مِن تعليمك، وهذا امتداد وراء امتداد. فهذا مما يثيرنا للاحتساب: أنكِ تُعلّمينهم حتى يصبح هناك عُمْر وراء عُمْرك.

ومما يثيرنا للاحتساب: أن الله جهَّزهم لنا مِن أجل أن نكون نحن مُعلّمِي الناس الخير. فمُعلِّم الناس الخير ليس شرطًا أن يخرج هنا وهنا، بل مُعلِّم الناس الخير يُمكن أن يُعلِّم الخمسة أو الستة الموجودين عنده بالبيت وأولاد إخوانه وأولاد أخواته وأولاد الجيران، فيصبح مُعلِّم الناس الخير. فمن ثَمَّ هذا يُثيرنا للاحتساب.

أيضًا مما يُثيرنا للاحتساب: خوفنا مِن الخسارة، أن تأتي لحظة الافتراق بيننا وبينهم، ثم بعد هذا الافتراق {ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}، بعد هذا الافتراق لا اجتماع أبدًا.

أيضًا مما يُثيرنا للاحتساب أنه لو صَلُحَ الأبناء ثم كانوا في منزلة أقل من الآباء، ماذا يحصل لهم؟ يدخلون، يُحشرون مع آبائهم، فحتى لو كانوا ضعيفين في عملهم وضعيفين في استقامتهم ولكن معهم أصل الإيمان ومعهم اليقين ومعهم الأسس أو الأشياء التي سنحتسب فيها، إذا حصل هذا فمِن رحمة الله

(1) [سورة الروم: 14]

وإرضائه لعباده المتَّقين الذين في الدرجة العالية أنه-سبحانه وتعالى-يرفع النازلين، أي أن أبناءهم النازلين يرفعهم فيجعلهم في نفس المرتبة ويجمعهم وتقر الأعين بالاجتماع.

وحين تسمعين هذا الأمر لابد أن تتذكَّري أن الجنة ليست كما نتصوَّر، الفوارق بين الناس في الجنة كأنك ترين الكوكب الدُّري، كأنَّ شخصًا واقفًا هنا ويرى الكوكب الدُّري البعيد، فالناس منازلهم في الجنة بهذه الطريقة، بحيث يكونون بعيدين عن الأبناء لو كانوا في منزلة أقل أو كنا نحن الآباء في منزلة أقل، لكن مِن رحمة الله بالمؤمنين أنه يجمع معهم أبناءهم وأزواجهم وآباءهم لتقر أعينهم، وهذا مِن رحمة الله.

فإذًا هذا الذي سيشغلنا ويدفعنا للاحتساب: أننا نخاف الخسارة، ويدفعنا للاحتساب أيضًا أننا نحب الاجتماع؛ لأن الخسارة معناها أننا سنفترَّق، والاحتساب في تربيتهم وبذل الجهد معناه أننا بأمر الله نجتمع كما نحب أن نجتمع هنا، وهناك مشاعر تعرفها الأمهات جيدًا حتى المربين الذين يربون الطلاب في المدارس، وهي أنه عندما تأتي لحظة الافتراق وهم يحبون أطفالهم الذين يربونهم يشعرون بمشاعر الألم. دائمًا الفراق أكثر شيء يُعذِّب الناس، فيُقال لكِ: إذا كنتِ تشعرين بخطر الافتراق وخائفة منه وتحبين الاجتماع، احتسبي على الله تربيتكِ لأبنائك راجيةً من الله أن يكون كل هذا البذل سبب للاجتماع حتى لو ضَعُف عملي وضَعُفَ عملهم-نسأل الله أن يقبل منا جميعًا أعمالنا ويجمعنا مع ذرياتنا وأتباعنا في أعلى جنات النعيم اللهم آمين-فهذا مِن المثيرات الهامة جدًا للاحتساب.

بذلك اتفقنا على نفس المثير الذي يُثيركِ للاحتساب، لابد أن تحتسبي وتفكِّري في الأجر عند الله وتحتسبينه على الله وتفكِّري في يوم القيامة مِن أجل أن تربيهم، ولا تفكري في تحصيل الدنيا فالدنيا زائلة، وكل واحد منَّا لن يأخذ أكثر مما قُسِم له، أماني الانسان وأطماعه هي اختباراته فقط. يعني في الأصل أنتِ وأولادكِ لن تأخذوا أكثر مما قُسِم، إلَّا أن الله يختبرنا بما يقع في قلوبنا مِن أطماع، بمعنى أنك تطمع في شيء وتحبه ويكون قد كُتِب لك، فتعبد الله وتطلب منه وتسأله وترجوه ولا تيأس مِن روحه فتأخذ أجورًا على كل هذه التصرُّفات وفي النهاية يصل لك الذي كُتب لك، أو تأثم وتحسد الناس وتضاربهم

وتظن فيهم ظن السوء وفي النهاية تأخذ الذي قُسِم لك وقد أثمت هذا كله، ففي النهاية في الدنيا الناس لن يأخذوا إلا ما كُتِب لهم، إلا أنهم عندما يتمنون ويرجون كيف يكون حالهم في التمني والرجاء والطمع؟ قوي، وبعدها كُلَّما تمنّوا ورجوا وأرادوا كُلما اختُبروا في تمنيهم ورجائهم وإراداتهم، فإذا كان مكتوبًا أو كان ليس مكتوبًا، سيُكتب كيف تصرَّفوا إلى أن يصلوا إلى هذا الشيء. معناه: أن كل شيء وضعته في فمك واشتهيته، اعلم أنه كُتِب قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف عام. إذًا أين الاختبار؟

الاختبار ماذا فعلت مِن أجل أن تصل لهذا؟ هل طلبت وسعيت ورجوت ودعوت وسألت الله؟ أم طمعت في الناس وحسدتهم وفعلت وفعلت؟ والذي لم يُكتب فهو لم يُكتب قبل أن يخلق الله الخليقة. طمعك هذا هو الاختبار، فإذا سعيت وذهبت بالطريق الذي يرضاه الله تأخذ أجورًا حتى لو لم تصل إليه، وإذا سعيت وذهبت بالطريق الذي لايرضاه الله تأثم وتصل فلا تجده. ففي النهاية الناس مقسوم لهم ما قُسِم، نحن حارثين همَّامين، فمهما سمعنا هذا الكلام لابد في النهاية أن نسعى، لكن لابد أيضًا أن نعرف نحن وأبناؤنا نسعى لأي شيء؟ ما هو الشيء الذي يسعون إليه ويهتمون به حتى لا نخسر هذه الخسارة العظيمة؟ حتى لا نأتي يوم القيامة فنفترق! فكونه يصبح طبيبًا، أو يصبح مهندسًا، أو عاملًا أو تاجرًا أو فقيرًا أو يصبح غنيًا، هذا قُسِم وانتهى، إذًا ماذا نفعل نحن؟ نسعى، ونُختبَر فيما نسعى، فنحن نريد المتربّي أن يسعى بالطريق الذي يُرضي الله-عزَّ وجلَّ-.

هكذا اتفقنا على أربع مثيرات مهمة تثيرك للاحتساب:

1. هذا الذي تربّيه عُمْر وراء عُمْر.
2. هذا الذي تربّيه تصبح أنت معه مُعلِّم الناس الخير.
3. هذا الذي تربّيه مستعد جدًا للتعليم وكل شيء يتعلَّمه أنت مأجور عليه.
4. هذا الذي تربّيه عندما تبذل جهدك مِن أجل الله فيه؛ تكسبه ولا تخسره، والكسب والخسارة هذان عند الله، في الدار الآخرة.

فلابد وأنتِ تعملين الأعمال أن يكون في قلبك أني أريد وجه الله، أريد ثناء الله، ليس هامًا التحصيل عند الناس، ليس هامًا الصورة التي يخرج بها عند الناس، المهم عند الله ماذا يكون هذا المتربّي، لأن هذه الدنيا زائلة منتهية، كل القضية حين نلحق بربنا أين سنكون وسيكونون، خصوصًا أننا نعرف أنه في ذلك اليوم {**يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ**}[1]، الفرار لابد أن يكون، لماذا؟ لأنه لا يفكّر إلَّا في نفسه، فكل هذه الوسائل التي بيننا تنقطع، ثم عندما يستقر حال الإنسان ويعرف أين هو يبدأ يبحث عن أحبابه. فالمقصود أن هذه حالة لابد أن نفكّر فيها، ونفكّر مِن الآن عندما نأتي في هذا اليوم كيف نكون قد ائتمرنا بالأمر ووقينا أبناءنا النار. وبذلك نكون قد اتَّفقنا على مثيرات الاحتساب.

الآن نفكر في أمر آخر وهو: **في أيّ شيء أحتسب؟**

المربّي لا بد أن يحتسب على الله أعماله بالتفصيل، يفكّر فيها ويحتسبها، فبالأمس كنا نضرب أمثلة كثيرة والآن نحتاج إلى تنظيمها، فأنتِ لابد أن تحتسبي على هذا الصغير وتصبري على إيقاظه للصلوات، تحتسبي وتحتالي على هذا الصغير حتى يقوم بالأعمال، كل هذه الأمور، بمعنى تحتسبين الصبر عليه، تحتسبين عليه أن توجّهيه. إلى أن وصلنا في آخر اللقاء إلى كلام مهم جدًا (احتساب إظهار المشاعر) وهذا يحتاج إلى تفصيل.

ما معنى أني أحتسب على الله؟ أي أطلب مِن الله الأجر، مثلًا أقف على سريره وأبدأ أوقظه أوقظه أوقظه وأداريه وأحزم وأعزم، بهذه الصورة، أحتسب على الله أن يكتب لي الأجر. لأنكِ ستبقين مشدودة مُتعطّلة عن أعمالك، ويكفي فقط مشاعر الشدة والألم في كونه لا يطيعك وقتما لا يستجيب، ومع ذلك كل هذه المشاعر التي في قلبك تحتسبينها على الله، وأن الله لا يضيع وقفتك على رأسه ولا يضيع شدتك ولا يضيع لطفك ولا يضيع حزمك عليه أن يقوم. كل هذا بالتفصيل تقولين لربنا: لما ألقاك لا يضيع عليَّ، فهذا هو الاحتساب، إلى أن نصل أن نحتسب على الله ماذا نعظّم له مِن الأمور، وهذه المسألة أول ما تحتاجه هو اتزان في عقلنا ثم نبدأ نفهم الاحتساب فيها، فنحن مشكلتنا الرئيسة التي نعاني منها هي اختلال توازن الأولويات.

(1) [سورة عبس: 34-36]

ابني الصغير يأتي مِن عند الله وعنده فطرة سوية ومستعد للتعاليم الإلهية والعمل المشروع، ومعه مشاعر، مشاعر صافية: أي أنه يعرف يحب ويعرف يبغض، لكن ماذا يحب وماذا يبغض، فهذا على أساس فطرته. فالذي يُحسِن إليه-ربنا خلقه هكذا-يحبه، والذي يسيء إليه يكرهه، وهذا كل الفطر السوية تعرفه، وكل مَن أحسن إليه يشكره، ونحن أيضًا ندربّه على ذلك، والذي يسيء إليه يمكن أن يتعدَّى عليه، ولا يحب الظلم؛ لأن فطرته لا تحب الظلم، يحب يدافع عن نفسه لأن هذه فطرته. هذه كلها أمور موجودة في فطرته، فمطلوب منكِ الآن ماذا تحتسبين على الله؟ تحتسبين أن تُشكِّلي هذه المشاعر على الأشياء المهمة. نبدأ مثلا مِن حُب المحسن، نحن طوال الوقت وفي هذا العصر خاصة نُمجِّد أنفسنا ونُمجِّد طُرُق الأرزاق، بمعنى: في الزمن الأول كان الناس يقولون دائما لأبنائهم: (أتانا هذا مِن عند الله، رزق الله) أما الآن فأصبحنا نقول لأبنائنا ابتداءً مِن كلمة: (الراتب آخر الشهر) وانتهاءً بكلمة (بطاقة البنك). وفي الوسط كلمات مثل: (أنا أشتغل، أنا أتعب عليكم، هذا الذي تَصْرفه وتنفقه مِن جهدي) فأنتِ تقولين له: إن المُحسِن لك هو أنا أو والدك!

الطفل هذا عنده مشاعر أن مَن أحسن إليه يحبه، وأنا طوال الوقت أشعره أني أنا التي أُحسِن إليه. وبعد كل هذا أقول له (قم صلِّ لربنا) ومن الطبيعي أن يقول لك: (لماذا أصلي لربنا؟) يعني ماذا فعل لي ربنا!! عقله سيقول ذلك، هذه العبادة أو هذه الطاعة أو هذا العمل أفعله لله لماذا؟!

فالخطأ بدأ مِن أين؟ بدأ الخطأ مِن عندنا، المفترض أني ماذا أفعل في المشاعر المقبلة منه؟ هو عنده مشاعر أن الذي يُحسن إليه يحبه ويشكره، فمعنى هذا أني سأتمثل مع هذا الصغير الحديث القدسي: عن أبي ذرٍّ الغفاري-رضيَ اللهُ عنه-عن النَّبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-فيما يَرويه عن ربِّه-تبارك وتَعالى-أنه قال: ((**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ**))[1] فطالما مشاعره الصافية موجودة، أنا أعقدُها على المفاهيم الصحيحة؛ حتى أجعله يفهم الحياة بطريقة صحيحة، يفهم أن هذا الرزق الذي جاءني إنما هو عطاء مِن الله، لكن الله عندما يعطي الناس لا يعطيهم مِن السماء إنما يعطيهم على يد الناس كما هو معلوم، وأنه يجعل لكل شيء سبب، فإن أراد الله مَنَع وإن أراد الله سَمَح، إن أراد أعطى وإن أراد-سبحانه وتعالى-منع.

(1) صحيح مسلم، (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، 2577)

فالطفل يملك مشاعر حُب المحسن، والأم ماذا تفعل؟ تقول له مَن المحسن على الحقيقة. إذًا هو يحب المحسن، ونحن سنقول له: إن المحسن على الحقيقة هو الله–عزَّ وجلَّ–ومعنى ذلك أننا كل مرة نأكل فيها أو نشرب أو تأتينا نعمة، سنجعلها فرصة للتعليم عن الله، وفي كل مرة سيتعلَّم ما الذي سينحبس في عقله؟ ستنحبس المشاعر–أي ستبقى عنده مشاعر في عقله–أن العطية مِن الله، والرزق هو رزق الله، وأن المِنّة مِن الله، إلى أن نصل إلى أنه لا يطلب إلَّا الله، ولكن لا تأتي هذه المشاعر مفاجأة، لابد أن تكون منذ أن يفتح عينيه وهو يسمع أن المُنعم هو الله وأن المحسن هو الله والمُعطي هو الله والحكيم هو الله، إذا أعطانا أو منعنا، لابد أن يعرف أن العطاء فضل مِن الله وأن المنع حكمة مِن الله، هذا الكلام يتكرر في المواقف الصغيرة قبل الكبيرة، لا يعني ذلك أننا سنجلس مع الطفل أو المتربّي ونعطيه محاضرة، لا، إنَّما بالمواقف والأحداث نجعل قلبه الذي يملك مشاعر يتَّجه إلى الله؛ لأنكِ إذا لم تفعلي هذا فأنتِ تعرفين ماذا سيحدث! هذا الطفل الصغير عندما يشاهد أفلام الكرتون أو يلعب هذه الألعاب، تبدأ تظهر في حياته أشياء، ومن هذه الأشياء: الشخصيات الكرتونية التي في الألعاب، تحل في قلبه محل الله، فمثلًا: يرى فيلم كرتون ينادي فيه البطل على لعبة أو على كرة حتى تعطيه، فهو غدًا في البيت ماذا سيقول؟ سيقول نفس الجُمل. فلو كان البطل في فيلم الكرتون يقول: يا كرتي الجميلة أعطيني، أو ابعدي عني الشر أو احميني. غدًا سيقول الطفل نفس الكلام. وأفلام الكرتون عندما تُخرِج له شخصية، وهذه الشخصية تصبح عظيمة، ستحتل هذه الشخصية مكان تعظيم الله.

فهذا الطفل الصغير كأنه عبارة عن شخص مليء بالمشاعر. وماذا نفعل نحن بهذه المشاعر؟ نعقدها عقدًا على المفاهيم، ثم تتكوَّن شخصيته بالمفاهيم ثم بها يفهم الحياة، بالمفاهيم يفهم الحياة، فلو مثلًا حدث موقف أن شخصًا منعنا شيئًا، فتأتين تقولين له ودائمًا تكررين عليه: (لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، وفي الحقيقة هذا ما هو إلَّا شخص مُسلَّط علينا) غدًا هذه الكلمة التي قلتِها يستعملها ويفهم بها المواقف.

إذًا يفهم، يشعر، يستعمل في المواقف. فمعنى ذلك ما هو دورنا الحقيقي؟ مِن دورنا–وهذا الذي نحتسبه على الله–أن نبقى نجعل العظيم–سبحانه وتعالى–عظيمًا في قلبه، وطوال الوقت نُعيد له نفس الكلام: مالِك الملك هو الله، الذي يعطينا هو الله. فيشعر بعظمة الله، يشعر بإحسان الله، يشعر ألَّا ملجأ له إلا إلى الله.

هذا كله يحتاج إلى أمرين معًا:

1. معلومات صحيحة.
2. مشاعر صادقة.

فإذا كانت مشاعرك صادقة، سيصل الكلام إلى قلبه مباشرة، فمثلا الشمس تخرج أو تدخل في وقت الشروق أو الغروب، المفترض في هذا الوقت أن نقول له: انظر لهذه الشمس العظيمة، لاحظ كيف هي عظيمة، هذا مخلوق من مخلوقات الله ما أعظمه! هذا يسجد عند عرش الله قبل أن يشرق على أي أحد، يستأذن الله العظيم. ونعيد ونعيد نفس الكلام، وهو في نفسه تصبح الشمس آية–ولا يكون عنده مفهوم: الشمس تساوي الحر–على عظمة الله. لكن حين تكون عندكِ أنتِ الشمس تساوي الحر، فهذه المشاعر نفسها تنتقل له، فنحن نعلِّمه كيف يفهم الحياة، كيف يقرأها قراءة مَن يعرف الله؛ لأننا في الحقيقة نعيش أُميَّة، أُمِّيين لا نعرف أفعال الله ولا نستطيع قراءة الحياة كما ينبغي على أنها مِن آثار عظمة الله وكماله وجلاله ومعاملته لخلقه.

أنتِ في الحقيقة لا يعاملكِ إلا الله، فإذا مُنِعْتِ شيئًا فهذا الذي مَنَعَكِ ليس إلَّا مجرد مُسلَّط عليك، والذي مَنَعَكِ في الحقيقة هو الله، والله ينظر لقلبكِ ماذا تفعلين، وهذا الكلام الذي خرجتِ به مِن النتائج الطويلة، المفترض أن يتكرَّر بكلام سهل مع الطفل، لكن تصوَّري لو كنتِ مُعقَّدة مِن الناس وتعتقدين أن الناس بهم شر، فطوال الوقت تقولين له: الناس سيِّئين، الناس لا يحبون لك الخير، الناس مؤذيين. نتيجة حصيلة تجربتك التي جعلت الناس هم الفاعلين، ونسيتِ أن الأمر كله بيد رب العالمين، فهذه هي الأخطاء التي نعيشها، وطالبات المرحلة المتوسطة، طالبات المرحلة الثانوية، طالبات الصفوف العليا، هؤلاء كلهم تظهر عليهم مشاعرهم، فالمفترض أن أعقد مشاعرهم على المفاهيم الصحيحة، بمعنى أفهِّمهم المفاهيم الصحيحة وأملأ المفهوم شعورًا.

نضرب مثالًا على ذلك: نحفِّظه سورة الإخلاص منذ نعومة أظافره–وهذا من فضل الله علينا–وحينما نحفِّظه سورة الإخلاص سنصل إلى **اسم الله الصمد**، المطلوب منكِ أمران:

1. أن تفهِّميه ما معنى صمد في حق الله.
2. ما معناه في حق انفعالكِ أنتِ.

فهو صمد تصمدين إليه، وأنتِ والطفل طوال الوقت خائفين محتاجين فقراء، طوال الوقت هذه حالتكم، فطوال الوقت نحن محتاجين لمن نركن إليه ونستند، ونطمئن إليه. فماذا نقول له؟ ربنا هو الصمد، ونصفه بصفات الكمال، أي نفهّمه معنى اسم الله الصمد: أن الله-سبحانه وتعالى-كامل وأن كل الخلق محتاجون إليه في يقظتهم ومنامهم-سبحانه وتعالى-، محتاجون له في حفظهم، ومحتاجون له في مطعمهم وفي مشربهم، بالتفصيل، وكل يوم تفصيل زائد، مع المشاعر تجاه هذا الاسم. فتوصِّلين له المعنى المفهوم وفي نفس الوقت توصِّلين له أني أنا لا أخاف لأني أصمد إلى الله، لا أخاف لأن الله هو الركن الشديد، أنا مطمئن لأني وقتما أحتاج أفزع إليه يعطيني. قد تسهل الكلمة أو تصعب، في النهاية هو سوف يشعر بما تحملينه في قلبك. نحن غير محتاجين إلى المعاملة الجافة في المفاهيم، نحن محتاجون إلى أن نشكِّل هذه المشاعر الغضَّة الطرية حول الأمور المهمة.

وسنرجع مرة أخرى إلى مشكلتنا: انقلاب الأولويات. نحن وضعْنا كل مشاعره في الاختبارات، في الدراسة، في النتائج، هذا لو كان صغيرًا يدرس في المدارس، ولو كبر: في العمل، النجاح، الخوف مِن الفشل، نركِّز على أن هذه الأشياء هي المهمة، فإلى أي شيء سوف تتجه مشاعره؟ إلى هذا. فلو كبر على هذا الأمر وأصبح عمره 26 أو 30 عامًا، ثم تأتين تقولين له: (ابنِ بيتًا في الجنة، افعل كذا وكذا). يقول لكِ: (أول شيء نريد بيتًا في الدنيا أما في الجنة فالله يحلّ لنا هذا). هذا الكلام كلام سفهاء، لكننا هنا نحصد ترتيب الأولويات الذي فعلناه، لأننا نحن الذين استمررنا طوال الحياة نشغله عن الله، فلا تتصوري بعدما شغلناه كل هذا الشغل عن الله، نأتي نقول له :(هيا انتقل لأننا استيقظنا، لأننا الآن عرفنا الحقائق) نحن نحصد في الأخير ما فعلناه.

الهداية بيد الله، وهذه هي الحقيقة، ونحن لا نملك إلا أن ندعوا لهم، ولكن هناك أعمال نقوم بها ونحتسبها على الله، وهذا الذي نتكلَّم عنه اليوم هو من أهم الأعمال، لأن الأشياء العظيمة التي تعظّمينها سيبقى هو يعظِّمها إلى أن يموت، وعندما يكتشف أنها ليست عظيمة سينقلب على كل شيء، فلو مثلًا

وضعتِ في البيت قانونًا، كل يوم حينما يدخل تقولين له: (ضع حذاءك هنا)، وكل يوم تقولين نفس الكلام، هو قد لا يسمع الكلام، وصحيح أنه لا ينفِّذ، ولكن أصبح في النهاية هذا الحذاء ومكانه شيء كبير في رأسه، فحينما يأتي مِن مدرسته يقول: (الله يعيننا على الحذاء وعلى مكانه). هذه هي مشاعره لأن هذا أصبح هو المهم. لكن حينما يأتي فتقولين له: (الصلاة الصلاة، لا تنم عن الصلاة، ابق مستيقظًا، داري نفسك قليلًا، الصلاة الصلاة). هذا عندما يكبر سيقول: الصلاة مهمة. وعندما يكبر يتأكد أنها مهمة. لكن تخَّيلي عندما يكبر ويصبح رجلًا ويتذكَّر أنكِ كنت تقولين له: (الحذاء الحذاء). ما هي مشاعره تجاهك؟ مشاعره أن هذا شيء تافه وعقّدتِه له. وطبعًا على الحذاء قيسي كل شيء، لأن كل شيء يتَّصل بالدنيا لا يساوي شيء. نحن لا نريده أن يكون شخصًا بعيدًا عن الآداب الإسلامية، ولكن المهم ترتيب الأولويات، بمعنى إذا قلت له عشر مرات: الحذاء، تقولين أمامها مائة مرة– على الأقل–: الصلاة، على الأقل نعتبرها بهذه النسبة وإن كانت هذه النسبة أيضًا لا شيء، فالمفترض أننا نرتب الأولويات التي سنبذل فيها الجهود.

كلامكِ الذي تكرريه وتهتمي به يُنقش في داخله (ما هو الذي كان مهمًا عند أمي؟ الذي كان مهمًا عند والدي ووالدتي هو الذي يصبح مهمًا عندي رغمًا عني). فعلى سبيل المثال لو امرأة استقامت بعد زمن، بعدما أخذتها الدنيا وجَرَتْ وراءها، ثم بعد ذلك استقامت، لما استقامت وهي قد تربت على يدِ أهلٍ كان كل شيء عندهم لابد أن يكون في مكانه مِن أمور الدنيا، ثم بعد ذلك أدركت أن الدنيا لا تستحق شيئًا، كبرت وفهمت أن الدنيا لا تستحق شيئا، وجاءت تحوِّل مِن بيتها لبيت جديد، هى تشعر أنها تحسَّنت دينيًّا، لكنها ستبقى تبحث عن الدنيا رغمًا عنها، وتريد كل شيء يكون في مكانه، ويغضبها أن اللوحة ليست ثابتة في مكانها، فلماذا ذلك مع أنها استقامت وعرفت أن الدنيا لا تساوي شيء؟ لأن الذي ربَّاه الآباء والأمهات على أنه مهم، مهما حصلت حالة من التجرد منه، لا بد في المفاجأت أن يرجع الإنسان إلى ما رآه عظيمًا في البداية.

معنى ذلك أن مشكلتنا ترتيب الأولويات، فالمفترض أن تكون مشاعر مَن نربيهم مُنكبة على الأولويات، ثم–ما زلت أكرر عليكم–الأقل فالأقل فالأقل. يعني إذا كنتِ تغضبين عليه، فتغضبين لأنه أخَّر الصلاة، تغضبين لأنك أيقظتِه لصلاة العصر وخرجتِ مشوارًا ضروريًا فرجعتِ ووجدتِ أن المغرب أذَّن وهو لم يقم، هنا نغضب، وقد يقول لكِ: خلاص أنا استيقظت الآن. تغضبين لله وتحتسبين هذا الغضب عند الله، وأيضًا مِن أجل أن تتسرَّب إليه مشاعر أن

هذا خطر، إلى هنا وأنا لا أسمح لك، وتذكّريه بحديث عبد الله ابن عمر–رضي الله عنهما–قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: (**الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ**)[1] أي: فقد أهله وماله! فأنتَ الآن يا ابني كأنك خسرت شيئًا عظيمًا، فقدتنا كلنا وأهلك، فلا تستهن بذلك. فنحن نحتسب هذا على الله حينما نراه مثلا مسكين متعب راجع من المدرسة ونريد أن نسامحه عن الصلاة، فهُنا لا نسامحه عن الصلاة. أحتسب على الله إظهار الغضب هنا، أحتسب على الله إظهار أن هذا الشيء مهم، وأحتسب على الله كثرة التكرار والكلام عن هذه المسائل، حتى يتكوَّن عند الصغير الذي نربّيه أو الشاب الذي نربّيه المفهوم الواضح مع المشاعر حول هذا المفهوم، المفهوم مع المشاعر، وفي النهاية يفهم الحياة.

مثلًا يقول: فلان منع عني كذا، وفلان جعل المعلِّم يعاقبني، وفلان فعل كذا. نقول له قول الله تعالى: {**وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ**}[2] وتعيدين وتفهِّمينه أكثر، ويكبر فيقول لك: هل ستقولين الآن لي نفس الكلام؟ تقولين: (نعم، أنا سأقول لك نفس الكلام لأن هذا الذي تفهم به الحياة، ترى هذا ليس إلا فتنة، إذا صبرت سيزول عن طريقك، إذا أصبحت تشكو منه سيظهر لك وسيظهر لك مثله). وأنتِ تنقلين له كيف يفهم الحياة.

على ذلك ماذا نحتاج مِن الأم؟ نحتاج أن تفهم هي الحياة، تفهمها مِن جهة أفعال الله: لماذا هذا مثلا يُسلّط عليك؟ حتى يرى الله هل هذا الشخص سيُخرج منك أسوأ شيء وسوف تغضب وتنتصر لنفسك؟ أم تؤدّب نفسك وتقول: أنا أصبر مِن أجل الله. فيأتيك الذي يُخرج منك أسوأ شيء، أو يأتي إليك مَن يمدحك حتى يُخرج منك أسوأ شيء مِن الغرور والكبر، وأنك تصدّق نفسك! الناس الذين يأتوننا بلايا علينا يُخرِجون ما في قلوبنا. ففهّميه أنكَ لو أخرجت هذا وعالجت ما في قلبك، ستجد أن الله والله يزيله، ولكن لو مثلا تقول: هذا الشخص لن أمشي معه لأنه يثيرني ويجعلني أغضب دائمًا ويكلّمني عن كذا وكذا مِن الذي يثيرني، أو يجعلني أشعر أني ناقص دائمًا، يأتي ويقول لي: أنت يا قصير أنت يا قصير – مثلًا–فيثيرني ويجعلني أغضب. فأنتِ تقولين

(1) رواه البخاري في صحيحه (كتاب مواقيت الصلاة، باب إثم من فاتته العصر، 552)

(2) [سورة الفرقان: 20]

له: اسمع، طولك وقصرك هذا مِن عند الله، وإذا ما رضيت بالله، الله لن يسلط عليك فقط هذا، بل ستنتهي مِن هذا ويأتي مثله عشرة، وكلما سرت في الحياة وأنت غير راضٍ عن الله سيسلّط عليك مَن يُخرج ما في قلبك. لابد أن تفهم الحياة جيدًا: إذا رضيت عن الله أرضاك الله ومنع عنك الذي يتسلط عليك، إذا لم ترض عن الله سيأتي إليك الذي يتسلط عليك ويُخرِج ما في قلبك مِن السوء وعدم الرضا عن الله، وتصبح هذه عقدة حياتك، فلا تأتِ وتقول: هذا الشخص عقّدني. ولكن قل: أنا راضٍ بربي، وهذه هي قسمة الله. ونقول له: افهم جيدًا أن طولك هذا شبرًا شبرًا قد كُتِب لك، وأنت اختبارك في طولك أنه هل ترضى عن الله أم لا ترضى. هناك مَن يُختبر في لونه، وآخر يُختبر في جنسه، وآخر يُختبر في قبيلته. كل شخص عنده اختبار، وليس شرطا أن يكون الاختبار عن السوء، قد يكون الاختبار لشخص أنه مِن طبقة عالية في المجتمع ويُختبر دائمًا على أنه يُنظر له بأنه متكبر، فيقول: والله يا أمي أنا أكلمهم أحسن كلام وأتذلل لهم تذللا، وهم ينظرون إليَّ على أني متكبر. خلاص أنت ارض بما قُسِم لك وابذل جهدك واطلب مِن الله أن يمنع عنك هذه الصورة، دائمًا ملجؤك الله. فكلما فهمتِ نقلتِ له الفهم وأشعرتيه بالحقائق.

أبناؤنا ضائعون في مشاعرهم، لا يعرفون كيف يعظّمون ربهم لأنهم لا يعرفونه، ولأنهم يعيشون في بيئة لا تعظّم الله. قد تقولين لي: (لا والله نحن نعظم ربنا). هو ليس بينه وبينكِ اتصال لاسلكي مع قلبكِ الذي يعظم ربنا. هو لا يعرف إلا الذي تقولينه، هو لا يعرف إلا الذي يراه بعينه، فلابد أن تحتسبي على الله أن تُعبّري عن عظمة الله، تُعبّري عن جلال الله، تُعبّري عن نعمة الله، وتُعبّرين في نسبة الأفعال إلى الله، يعني تقولين: أعطانا الله، رزقنا الله، جبرنا الله، سترنا الله، ربنا لَطَفْ. طول الوقت تتكلمين عن الله، تُثنين على الله، حتى ينتقل كل هذا إلى شعوره، لكن لا تقولي: أنا أحمل عقيدة صحيحة وجاء ولدي لا يحمل عقيدة صحيحة. لا يوجد اتصال بين القلبين إلا عن طريق ما نتكلَّم أو نفعل، وهو مِن ثَمّ سينتقل إليه، ونحن غلطتنا أننا عشنا زمنا طويلا بين آباء وأمهات يتكلمون ويفعلون ويعتمدون على الله وطول الوقت مشاعرهم مع الله، ثُم تَفَاجأنا بالحضارة، الحضارة جاءت فقطعت علينا أشياء كثيرة، فلما انقطعت ما وصلنا المقطوع بالكلام، فمثلًا لا نقول بأن هذا الذي في دولابنا مِن الطعام والشراب ما هو إلا مِن عطيّة الله، إنما نأتي فنقول: (سنقضي آخر الشهر، وسنذهب نسحب مادام الراتب قد جاء). كل هذا الكلام يُقطّع عليهم ويحصرهم في الدنيا، لكن لما نقول: رزقنا ربنا، لما نقول: أعطانا ربنا،

لما نقول: هذا ليس نصيبنا، هذا ما قسمه الله لنا. وقد يأتي الطفل فيقول لكِ: لابد أن تشتري لي هذا. فتقولين له: والله لو ربنا كتبه لك سيأتيك، ولو ما كتبه الله لك لن يأتيك. ونجعل التجارب التي تمر عليه مُفَسَّرة.

فمثلًا بسبب ما نعيش فيه أصبح الطمع شديدا عند الأبناء، وخصوصًا لو رأوا أن عندكِ أموالا، فيقولون: ماذا ستفعلين بها؟ لابد أن تصرفيها علينا. يشعرون بمشاعر أنك أنتِ مُلْكَهُم فلابد أن تنفقي عليهم طول الوقت، أو الأب طبعًا. فلابد إذا مررنا بتجارب أن نفهّمه التجارب، فلو مثلا كان في الليل مُصِرًّا على أن يتعشى هذا العشاء، وأنا سأشتري له، ثم يقدر ربنا أن يأتينا عشاء جاهز رزق مِن عند الجيران، يأتينا رزق مِن أي مكان، فالآن هو سيقول: بالتأكيد أنتم الآن لن تأتوا لي بما أريد. فسنقول له: لا خلاص طالما ربنا اختار لنا هذا سنقنع بما رزقنا، وهو سيعوّضنا. بعدها يحدث موقف حقيقي —وهذا دائما يحدث–أنه يكون قد أكل واقتنع من داخله. وقلنا له: لو أنت راضٍ من داخلك انظر كيف سيعاملك الله. ثم يأتي غدًا أوبعد غد ما اشتهاه بدون أن يكون هو قد تَسَبّب في تحصيله، يأتي مِن عند ربنا. لأن الذي يرضى لابد أن يرضيه الله، لابد أن يرضيه الله. كونوا أنتم مقتنعون بذلك، فلما تأتي عليه المواقف نقول له: انظر، أنتَ رضيت فربّنا أرضاك. لابد أن تُفسّر له الحياة.

الرضا والقناعة بما أعطاك الله يجعل كل شيء في مكانه، لا تأتي لنا التعاسة ولا الاكتئاب ولا الأمراض النفسية ولا الاضطراب النفسي، ولا تأتي هذه الأشياء التي نعيشها. وأنتم تلاحظون كيف مع كثرة الحضارة يرتفع معدل الأمراض النفسية، طبعا السبب واضح: لأن الحواجز والقواطع عن الله زادت فاضطربت النفس، والنفس سَكَنُها الله. سكن النفس الفقر إلى الله. فلما استغنت اضطربت، لابد أن نفهم هذا الشيء، ويفهمونه هُم. تقولين له: لو كانت عندي أرصدة الدنيا كلها، أنا وأنت فقراء إلى الله، وانظر حولك، الناس كان عندهم أرصدة وكل شيء ثم أصبحوا في يوم من الأيام وجدوا أنفسهم على الحدود، هاجمهم العدو فلا أرصدة ولا مال ولا أي شيء، وكل يوم تزداد الأمثلة حولنا. مَن يضمن لك أن تبقى في هذه الحال؟ ما لك إلا الله، راضٍ بالله، ولذلك كل هذه التجارب والتمارين المتكررة تجعل عقله يقوم بأعظم عبادة، أعظم عبادة يقوم بها الانسان هي أن عقله الممتليء معرفة عن الله يقوم بعبادة الرضا عن الله والقناعة بكماله–سبحانه وتعالى–، خاصة لما تأتي المواقف عكس هذه المعرفة. كيف تحصل هذه العبادة؟ يتعلم يتعلم ثم يعرف

أن الله كامل، وتأتي مواقف في صورتها أنها خلاف كمال الله، فهو يقول: (لا والله، الله كامل حتى لو عيني ترى أن المسألة فيها نقص). وبالمثال يتضح الأمر، قد يأتي شخص فيرى طفلا مريضا أو جماعة مشردين أو معذبين... الخ. ونحن نقول عن ربنا–وهو الحق–أنه أرحم الراحمين، فتظهر هذه الصورة كأنها خلاف هذه الحقيقة، ولكن الذي امتلأ معرفة بالله وعقله ثبَتَ فيه هذا العلم، حتى لما يرى الصورة الخارجية يقول:–والله الله أرحم الراحمين، سواء عيني رأت الرحمة أم لم تراها، سواء أدركْتها أم لم أُدركها. ولو حصل هذا حفِظْناهم مِن أي وساوس شيطانية تُسبّب لهم والعياذ بالله الإلحاد، وهذا أخطر ما يهاجمنا اليوم، ولابد أن تعرفوا أن الإلحاد ليس ظاهرة في بلادنا ولا حتى في ديار المسلمين الحمدلله، لكننا نخشى أن يكون ظاهرة–يعني شيء ظاهر والناس يرونه– إنما هو إن شاء الله ليس ظاهرة، حالات شاذة، لكن مع كثرة عدد المسلمين فيُعتبر عدد الذين ينكرون وجود الله كبير، ينكرون عظمة الله، ينكرون ماله من كمال.

لابد أن نعرف مِن أين جاءت هذه المشكلة، جاءتنا مِن هذا التكوين العقلي الخطأ، فالمتربي وهو صغير ما عرّفناه الله، وهو صغير ما عقدنا مشاعره على هذه المعرفة، وهو صغير ما جعلناه يقرأ معنى الحياة كما ينبغي، فماذا كانت النتيجة؟ أنه لما كبر وعينه رأت خلاف صفات كمال الله، قال: (أكيد أن الله ليس كاملًا). فأين المشكلة بالضبط؟ أنه ما عرف الله، ما انعقدت مشاعر تعظيم الله ومحبته، ما عرف يقرأ الحياة، فلما تأتيه المواقف والأحداث خلاف ما علّمناه عن الله وهو ما عرف الله حق المعرفة وما امتلأ قلبه تعظيمًا لله، فلما يرى الموقف يجعل الموقف حَكَمًا على صفة الله، لا يقول: (حتى لو لم أرَ الرحمة فهذا الموقف فيه رحمة). هذا قول المؤمن، ماذا يقول المؤمن؟ (حتى لو عقلي ما أدرك الرحمة، هذا الموقف فيه رحمة، حتى لو عقلي ما أدرك الحكمة، هذا الموقف فيه حكمة، لأنه مِن أفعال الله). فيجعل تعظيمه لله قاضيًا على كل عقله وحواسه وإدراكاته. عندما لا يحصل هذا يتسرب الإلحاد، وهذا الذي لابد أن نخافه على أبنائنا. نحن نقول: صحيح أنه ليس ظاهرة، لكن في نفس الوقت الخطر يهددنا جدًا، لأن كل ما يمسكونه في أيديهم مِن أجهزة ويستطيعون أن يتصلوا بها في العالم تحمِل هذا الوباء. حتى لو كنتِ أحيانا تبحثين عن مقطع تَسْمَعينه في القرآن قد تخرُج لكِ مناظرة في الالحاد، وطبعًا هم لهم طريقتهم

في استخدام المفتاح، يعني يخزنون مفتاحًا في مثل هذه المقاطع بحيث لو بحثتِ عن قرآن يظهر لك مثل هذا المقطع. فإذن معنى ذلك أن الخطر الذي يحيط بنا عظيم جدًا، فماذا نحتاج أن نفعل؟

نحتاج أن نعيد ونزيد على أنفسنا نفس القضية، لابد أن نعرف الله-عزَّ وجلَّ-، ويجب أن يفهموا عظمة الله ويفهموا الحياة مِن خلال ذلك، هذا الكلام كله مِن أهم الأشياء التي أحتسبها على الله.

إذن ماذا أحتسب؟ سأحتسب ثلاثة أمور باختصار:

1. أحتسب أن أتعلم بدقة عن الله.
2. أعرف معاني أسماء الله وصفاته، فأنتِ أمه التي ستقولين له مَن هو الله.
3. أحتسب مشاعر التعظيم لله والمحبة له، يعني أحتسب إظهارها وبيانها.

فمثلًا: لما يأتي يقول لكِ نكتة تتكلم عن سور القرآن أو عن الرسول الكريم-صلى الله عليه وسلم-، احتسبي على الله أن تغضبي لله، ولا يأتي فيقول لكِ: (هذه مزحة، ولم يكن قصدي). نحن نعرف أنه لم يكن يقصد، ولكن إذا لم نُظهِر له هذا التعظيم سيأتيكِ المرة الثانية والثالثة ويفعل مثل هذا، فلابد أن تحتسبي على الله أن تُظهري غضبك لله. فإذن نحتسب على الله أن نتعلّم، ونحتسب على الله أن نُظهر مشاعرنا، ونحتسب على الله أن نغتنم كل فرصة في ذلك، فأنتِ قد تفهمين الموقف بوضوح ولكن ليس فيكِ حيل أن تفهّميه وتحكينه له، العاملات —الموظفات-لا يريدون وليس فيهم حيل أن يقولوا، والذين في المنزل أيضا مثلهم، لا أدري ما بنا، وكلما تكلم الطفل نقول: (ما فينا نرد عليه)، فتكون النتيجة أننا نكثر الكلام مع غيرهم ونقلل الكلام معهم، نسأل الله أن يغفر لنا جميعا.

الشاهد أنكِ ستحتسبين أنك تتكلّمين وتعيدي وتكرّري وتبيّني. ولا تظني أن المخزون في قلبكِ من عقيدة وخبرة تتسرب له بمفردها، لا تتصوري أن قاعدة البيانات التي عندكِ سوف تنتقل هكذا له، فهذه المشاعر لا يجلبها إلا الشيطان، فالشيطان يقول لكِ: المتربي يعرف كل شيء، هو يفهم كل شيء، هو بعينه يرى الأشياء، لكن يرى الأشياء بعينه ولكن لا يفسّرها كما تفسرينها. لابد أن تحتسبي على الله أنكِ تغتنمين كل موقف وتفسّرينه: هذا رزق الله، هذا لطف الله، ربنا حفظنا. فلو خائف تقولين له: أنت في حفظ الله، ولو وجد نفسه أنجز تقولين له: ما وفقك إلا الله، فيأتي يقول: أنا حفظت وكنت أفضل واحد. تقولين له: هذا ستر الله، فأنت معي لم تكن حافظًا ولكن الله ستر عليك وجمّلك عند أستاذك. وهكذا تتكلمين طول الوقت. فنحن سنحتسب على الله اغتنام المواقف.

مرة أخرى، هذه المسألة كلها تدور حول أمريين أساسيين:

1) المعرفة بالله.

2) إظهار مشاعر التعظيم له–سبحانه وتعالى–، والتوقير للنبي–صلى الله عليه وسلم–، والتعظيم للقرآن وهكذا.

طبعًا تُتْبعي المسألة هذه بالكلام عن الصحابة وزوجات النبي–صلى الله عليه وسلم–وشاهدي كيف لما بنتنا أو ولدنا في الحديث يقول: (عن عائشة) ويكمل الكلام عادي بدون أن يقول: (رضي الله عنها)،كأن عائشة هذه صديقتها، فهذا الولد وهذه البنت ليست عندهم مشاعر أن هذه أمنا وكيف جمعت مِن العلوم ما جمعت، وأنها تعتبر مِن أعلم النساء وأنها وأنها. لأني لما أفتش عند الأم –وهنا المشكلة – أجد أن الأم بنفسها لا تَعْلَم، هذا فارغ عندنا، فمن ثم لن تنتقل مشاعر أن أمهاتنا أمهات المؤمنين.

وأيضا الصحابة الكرام الذين فضّلهم الله واختارهم واصطفاهم، ونحن نغضب مِن أولئك الذين سبوا الصحابة وهم قد أجرموا في ذلك جرما عظيما، لكن ماذا فعلنا؟ أين الثناء عن الصحابة ومعرفتهم وحبهم واعتبارهم قدوة؟ أين معرفتهم بالتفصيل؟ الطفل بالقوة يحفظ راوي الحديث، ولما يسمع أنس بن مالك

أو ابن مسعود ما يشعر بأي مشاعر لأنه لا يعرف القوم، وبالتأكيد تعرفون لماذا لا يعرفون القوم! لأن أمهاتهم وآباءهم لا يعرفون القوم، ولأن في عقلهم غير هؤلاء القوم! فماذا تريدين إذا عقلهم انشغل بغير هؤلاء القوم؟ مِن المؤكد أنه لا يحصل في القلب لا تعظيم ولا محبة ولا توقير، فنحن نحتسب على الله أن نتعلم.

مثلا في كتاب الله، نقول بأن كتاب الله نور وهدى وشفاء، ولابد أنتِ أن تشعري بأنه نور وهدى وشفاء، تقولين له: في الظلمة، ونحن نفكر لا نعرف ما الذي يجب أن يحصل، ثم نقرأ آية في كتاب الله فتصبح الدنيا نور ونعرف ماذا يجب علينا أن نفعل. واحتسبي على الله أن تمر عليك المواقف وتجدين ذلك فعلا ثم تقولين له: أرأيت كيف كتاب الله نور! إذن كل الدين: تعظيم الله، توقير النبي-صلى الله عليه وسلم-، تعظيم القرآن، محبة الصحابة، محبة أمهات المؤمنين، موالاة الملائكة الكرام حملة العرش، حب الملائكة، كل هذا لابد أن تكوني أنتِ ممتلئة به، تحتسبين على الله أن تتعلّمي هذا كله وتوصلينه له. فلو كنتِ مليئة بالمعلومات والمشاعر ستصل وتتدفق، ستنزل على قلبه المستعد فيعظّم ما عظمتِ ويوقر ما وقرتِ ويحب ما أحببتِ. فاللوم الحقيقي على الآباء والأمهات، ما امتلؤوا فنقلوا.

قد تقولين: أنا والله ممتلئة لكن هو لا يسمعني.

نقول: لا تنظري لردة فعله أبدا، أبدا، فالحق سيخرق مسمعيه رغمًا عنه ويقع ويستقر في القلب. مهما كان الإنسان عنيدًا لايمكن أن يمتنع القلب عن استقبال الحق، ثم إن شاء الله وبأمر الله وقربة الدعاء يجعل الله هذا الذي في قلبه يتحرك في اللحظة التي يريدها الله. أهم شيء أنتِ املئيه، حتى لما يستقيم يعرف يستقيم على أي شيء.

وهذا يجعلنا ننتقل لنقطة خطيرة جدا وهي أن كثيرًا من الشباب لما بدؤوا يستقيمون وصار عندهم حماس وتديّن خصوصا في المرحلة الثانوية، ذهبوا للإرهاب! لماذا؟ لأنهم ما تحصنوا، فقولي الحق حتى لو لم يكن هو مستقيما، علّميه موالاة المسلمين، علّميه كيف يوالي ويحب أهل الإسلام، علّميه كيف أن

الإنسألا يخرج بالذنب مِن دين الله. كل هذه القواعد يسمعها وتستقر في قلبه، فلما تأتيه صحوة الاستقامة يعرف يصحو على أي شيء، وماهو الشيء العظيم. علّميه أن هذا الكتاب العظيم قد قيّض الله له مَن يفسره، فإذا احتجتَ شيئا هيا بنا نتعلّمه، وهذه النقطة هي التي سنفتتح بها لقاؤنا القادم إن شاء الله وهي: كيف نحتسب على الله التعليم التفصيلي. إذن أحتسب على الله أن أعلّمه المفاهيم الصحيحة وأعقد المشاعر عليها.

نغلق اللقاء في الكلام حول نقطة أثرناها أمس. تكلمنا عمّا هو الدافع للاحتساب، الأمر الثاني تكلمنا عن ماذا أحتسب، والأمر الثالث سنتكلَّم –كل يوم ورزقنا–عن صور مِن كفران النعمة. علما بأنه لم تنتهي معنا دوافع الاحتساب ولا عن ماذا نحتسب، فغدا سنفتتح اللقاء أيضا بدوافع الاحتساب وماذا نحتسب.

مِن صور كفران نعمة الأبناء:

نبتدئ بصورة البطر على كثرة الأبناء، يعني تكونين قد رُزقتِ ذرية، فمن البطر أن تنظري على أن الكثرة ليست في صالحك، والصحيح أن المحروم هو الذي سيشعر بأن ما أنتِ فيه نعمة، وليس من المنطقي أن الشخص لا يشعر بالنعمة إلا لما يُحْرم منها، فهذا معناه أن المنعم عليه لا يشعر والمحروم هو الذي يشعر، والمنعم عليه لا يشكر والمحروم يشعر بالحسرة على أنه ليس عنده. قد مَرّ معنا أن صورة البطر هذه سبب لنزع بركة الأبناء، فلما تُرزقين وتوهبين هؤلاء الأبناء، مِن شُكر نعمة الله أن تشعري أنه كلما كثر عددهم كلما طال عمرك بعد موتك وطال عمر الأعمال الصالحة، فتشعرين أنه مِن منّة الله أنه اختصكِ بكثرة الأبناء. ونحن لماذا لا نشعر بالنعمة؟ أكثر سبب لا يجعلنا نشعر بها هم الناس، يعني لما يستقبلونكِ يقولون لكِ: لاتحضري كل أولادك. وهناك مَن يقول: هذه البطة ومعها أولادها. كل هذه مثيرات، فالذي يكبّر عقله ويعرف أن الناس ليسوا مقياسا لنعمة الله، يطرح الله في أبنائه البركات، والذي يكون موقفه أنه يتأثر بأي كلام مِن الناس، يعرف أنه قد مَنَعَ نفسه أن يتمتع بنعمة الله.

ومما يلحق هذا البطر على أنه ليس لكِ أبناء فقط إنما أيضا أحفاد، يعني تكونين قد رُزقتِ أولادًا وبناتًا ويسّر الله لهم وتزوجوا مبكّرين فأتوا بأبناء، فتقولين لابنتك: لا تحضري ابنك معنا. لماذا؟ حتى لا يشعر أحد أنكِ جدّة! هذا الأمر المتداول المؤسف. أريد منكم أن تقرؤوا الحدث بصورة جيدة، كيف لما تكونين بصحة جيدة تستمتعين بأبنائك وأحفادك، وكيف لما تكونين قد تقدمتِ في العمر ومريضة، ثم يأتون هم بأبنائهم، فرق شاسع بين الشعورين، شعور أنك بصحتكِ ويدكِ في يد بنتك أو ولدك ومشاركتهم في تربية الأحفاد خصوصا والأحفاد أمر سهل علينا، في مقابل أن الأبناء يصعبون علينا، يعني الأبناء تكونين أنتِ متحمّلة لكل شيء، أما الأحفاد فيأتونكِ ضيوفا وأنتِ تكلمينهم وترشدينهم فقط، وتكونين ألطف جَدّة لهم، والتوجيه منكِ جميل وأنت ملجأهم، فكأنه خُفّف عليك الاختبار والدرس، لكن البعض لا يتمتع بهم حتى لا يقول الناس: أنتِ جدّة وكبيرة–الحقيقة أنكِ كبيرة مهما هربتِ من الموضوع–انتهينا من الكلام حول البطر على كثرة الأبناء وهي نعمة مِن الله وتتركين وراءك مَن يطيل عمرك بعد موتك ويكونون مستغفرين وصالحين وعُبّادا لله، والنبي–صلى الله عليه وسلم–قال: **(تكاثروا تناسلوا فإني مباه بك الأمم)**[1] فأنتِ ستكونين المرأة التي يباهي بها النبي–صلى الله عليه وسلم–عند ربه بأبنائك. فطمعا في هذه المنزلة، نحب أن يكون لنا أبناء، نسأل الله أن يرزقنا أهل الصلاح.

أيضا مِن صور كفران نعمة الأبناء: البطر في تربية الأبناء في أمْن، وتذكّروا في ذلك ما كانت عليه أم موسى حيث قيل لها: **{فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ}**[2] ونحن بفضل الله ورحمته نربّي الأبناء ونناقشهم ونكلّمهم في أحسن الأحوال وفي أمن وأمان وكل شيء يسير، ومِن هذا الأمن أنكِ تستطيعين إرسال ابنك للصلاة، مِن هذا الأمن أنكِ تستطيعين وابنك إقامة شرع الله، مِن هذا الأمن أنك تستطيعين أن تذْكُري دين الله وسنة النبي–صلى الله عليه وسلم–فلا تخافي أن يحاربك أحد على دين الله أو يخوّفك مِن إقامة شرع الله، وانظروا حولنا سترون جيدا، ففي بعض الديار الإسلامية لما يتسلط علينا العدو–أسأل الله أن يردّه–يقتل بالاسم، فإذا كان اسم ابن الجيران عمر، يقتله، وإذا كان اسمه علي يتركه! فهل نحن بفضل الله نشعر بهذه المخاوف ونحن نربي؟!

(1) ضعفه الألباني بهذا اللفظ في "السلسلة الضعيفة" وقال: رواه الديلمي–وذكر سنده–، وقال: وهذا إسناد ضعيف جداً ... ثم ذكر أن له شاهدًا من حديث أنس بلفظ "تزوجوا الولود الودود؛ فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة" وقال عنه في "آداب الزفاف": حديث صحيح رواه أبو داود النسائي ...انظر: السلسلة الضعيفة الحديث (3480) وآداب الزفاف (ص89و132).

[2] سورة القصص 7

الحمد لله، فلا نبطر على نعمة الأمن، لا تكسلي أن توقظيه لصلاة الفجر ليذهب للمسجد، لا تكسلي عن هذا، لأن مشيه إلى الصلاة شُكْر لنعمة الأمْن، وانظري عندما يخرجون مشائين للصلاة كم يبهج هذا القلب وأنتِ تنظرين مِن نافذتك للصغار خارجين إلى المسجد، كم نتمتع بالأمن حتى أننا نرسل أبناءنا للصلاة، فمِن شُكر نعمة الأمن أن نُقِيم دين الله، وأهل الخوف لا يستطيعون أن يصلّوا هم بأنفسهم فكيف يجتمعون هم على صلاة! وهذا كله يحتاج لتفكير وإعادة نظر وخوف أن تُنزع مِنّا نعمة الأمن نتيجة أننا لا نشكرها خصوصا في تربية أبنائنا.

كل شيء فيه أمن: تذْكُرين سُنّة النبي-صلى الله عليه وسلم-والصحابة وآل البيت وأنتِ في أمن، كل السنة أنتِ في أمن في إقامتها، فأين شكر على الله على هذه النعمة؟ أنتِ اليوم تشترين صحيح البخاري وتُظهرين السنة بتفاصيلها ولا أحد ينازعك في ذلك، بل لا يَظْهر هُنا إلا السنة، أنتِ في أمن مِن أن يرى ابنك مظهرا من مظاهر الشرك فيرى مثلا قبرا أو أناسا يتمسّحون أو يربطون أقمشتهم ويتبرّكون، أنتِ في أمن مِن هذا كله، فأين الاهتمام بالتوحيد؟ لا تظنوا لأننا في أمْن مِن جهة التوحيد معناها أنه سيتسرب لأنفسهم الاهتمام بالتوحيد، لابد أن يكون الاهتمام بالتوحيد رأسا نهتم به.

اللـــقـــــاء الثـــــالـــث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله–عزَّ وجلَّ–حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، وها نحن نلتقي في نهاية هذه الأيام الثلاثة التي أسأل الله–عزَّ وجلَّ–أن تكون مباركة علينا، فنحتسب على الله–عزَّ وجلَّ–اجتماعنا وعملنا بما سِمعنا، ونسأله–سبحانه وتعالى–أن يجعلنا مِن المقبولين نحن ومَن نربي والمسلمين، اللهم آمين.

أعود مرة أخرى لأذكِّر نفسي وأذكِّركم بأهم المفاهيم التي اتَّفقنا عليها في هذه اللقاءات الثلاثة، وأطلب منكم التركيز معي وألا تتشتتوا لأن اليوم آخر اللقاءات التي سنناقش فيها الموضوع، ومشكلتنا دائما في الحياة التشتت حتى في قلوبنا أثناء معاملة ربنا، كما يتشتت نظركم الآن عندما يدخل أو يخرج أحد، هذا بالضبط الحاصل في مسألة الاحتساب، فمثلًا تربِّين أولادك لله، ثم يلتفت قلبك لغير الله مثلما عينكِ الآن تلتفت لغير الذي تحدِّثينه، برغم أنكِ تقولين لربنا وأنتِ تحتسبين: (هذا العمل لك وليس لأحد غيرك)، لكن الله ينظر إلى قلبك ويراه ملتفتًا إلى غيره، فيصبح هذا كذبًا على الله؛ ولذا الاحتساب يحتاج إلى قلب لا يرى إلَّا الله، بصيرة القلب لا ترى إلَّا الله، ومن ثمَّ ماذا ستكون النتيجة؟ سيسير الشخص في طريق واحد وسيسْهُل عليه أن يحتسب الأجر عليه–سبحانه وتعالى–، يسْهُل عليه الصبر، ويتذكَّر دائمًا الشكر، ويسْهُل عليه الكلام والإعادة والتكرار وكل الآليات والنقاط التي قد مَرَّت وتناقشنا فيها.

إذًا الاحتساب عمل للقلب، يقول صاحبه: (أريد هذا العمل لله وليس لغيره) ونحن نقول هذا الكلام نفكّر في لقاء الله، نفكر في لقائه بمعنى نقول: (نحتسب عندك هذا العمل، أن تعطينا أجوره عندما نلقاك) إذًا هذا المحتسب يفكّر كثيرًا في الآخرة، الآخرة شاغلة لباله، وقد مَرّ علينا بالأمس أن هذا المحتسب يمتثل ويحاول أن يشابه الأنبياء الكرام الذين وصفهم الله-عزَّ وجلَّ-: {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّار}[1].

ما هذه الخالصة؟ ذِكر الدار، أي أن ذكر الدار الآخرة دائمًا على بالهم، فالمؤمن المحتسب في كل شيء يحاول أن يتشبَّه بهؤلاء الأنبياء الكرام، ويبذل جهوده أن تكون الآخرة دائمًا نصب عينيه، يراها ببصيرته، فإذا رآها ببصيرة قلبه فإن هذه البصيرة تقول له: ما دمت ترى لقاء الله إذًا استعد لِلّقاء. (استعد لِلّقاء) بأي شيء؟ بالذي تعيشه بالحياة، ومِن الذي تعيشه بالحياة تربية الأبناء.

تربية الأبناء لا بد أن نعتقد فيها أنها عبادة، بالضبط مثل الصلاة والصيام والزكاة والحج، مِن الفرائض، لأن الله قد أمرنا أمرًا واضحًا صريحًا، أي أنها عبادة لأنها أتت كفعل أمر: {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا}[2] كيف سنقيهم هذه النار؟ ليس بأيدينا ولا بأموالنا ولا بأي شيء، إلَّا أن نربّيهم على دين الله، فالذي يقي أبناءه النار بالتربية، يفعل ما أمر الله، مثلما أمره بإقامة الصلاة، مطلوب منك-أُمِرت-أن تقيهم النار، إذًا هذه عبادة مثل تلك العبادة. فالذي يخاطب أبناءه ويرشدهم ويدلّهم كالذي يصلّي الفرائض التي عليه، والمعلّم الذي يعلّم أبناء المسلمين، يقوم بعمل عقد بينه وبين الله، والله أمرنا بإيفاء العقود، فما هو العقد الذي بيني وبين التعليم؟ أصلًا العقد بيني وبين الله، بأن أوفّي هؤلاء حقهم في الوقاية من النار، هذا هو العمل، فإذا كنتِ أُمًّا فتربيتك عبادة، وإذا كنتِ مربّية ومعلّمة فتربيتك عبادة، قربة إلى الله نتقرَّب بها إلى الله كما نتقرَّب في بقية العبادات.

واتَّفقنا أن مِن أهم مثيرات الاحتساب النظر إلى هؤلاء الأبناء أو مَن نربّيهم على أنهم عُمر وراء عمرنا، فكل شخص تربّيه وتعلّمه هو عُمر وراء عمرك، تموت وأجورك تجري على قدر ما يفعل هو مِن الخير، ثم أنت مُعلّم الخير -سواء علَّمتَ أبناءك في البيت أو علَّمت أبناء المسلمين-اسمك مُعلّم الناس الخير،

(1) [سورة ص: ٤٦]
(2) [سورة التحريم: ٦]

ستستغفر لك الملائكة حتى الحيتان في البحر تشارك العلماء في كونها تستغفر لأنك مُعلِّم الناس الخير، واعلم أن أولادك مِن بين الناس الذين تعلِّمهم، فهذا مِمّا يثير الاحتساب.

أيضا مِمّا يثير الاحتساب أنهم مُستعدّين تمام الاستعداد، سهلين، قد هيّأهم الله، فشُكرًا لنعمة الله، يعني مِمّا يُثيرك للاحتساب أن تعتبر أن التربية الصحيحة والتعليم الصحيح شُكرًا على نعمة هبة الأبناء، وهبك الله الأبناء فكيف تشكره؟ بأن تربّيهم كما ينبغي، وإذا وهبك أن تكون مُعلِّما وأعطاك علمًا أكثر مِن الناس الذين حولك، فشُكْر لله على هذه النعمة بأن تعلِّمهم، وتعتبر في شكرك هذا أن الله يشكر الشاكرين، وأنه يُعطي على العمل القليل الأجر الكثير، فإذا بذلتَ جهدك شَكَرْتَ الله، فالله-عزَّ وجلَّ-مِن وصْفِه أنه شكور يعطي على العمل القليل الأجر الكثير.

فالشاهد أننا يجب دائمًا أن نُحرِّك في أنفسنا أن معاملتنا في تربية أبنائنا ليست مِن باب العادة، بمعنى ليس لأني ابتليت بهم فلا بد أن أربّيهم وأنه طبيعي أن الإنسان يربِّي أبناءه، وأيضًا لا نربّيهم مِن باب الهوى، بمعنى أتأمَّل أنَّ الذي لم أفعله في شبابي سيفعله ابني، هذا اسمه (هوى)، أي أنك تريد الدنيا مِن ورائه، إنما اجعل هؤلاء كالأرض الصالحة التي أصلحها الله، فأنت تبذر وتأخذ هذه الثمرات حين تلقى الله، وتشكر الله أنه رزقك هذه الأرض الطيبة، ثم لا ننسى أبدًا أن الله قد تفضَّل علينا بفضل عظيم يجب علينا دائمًا شكره، وهو أننا في بلاد مرفوعة فيها السنَّة-الحمد لله-، والشرك فيها ممنوع، فالطريق أصلًا واضح وسهل، فمِن شُكْر الله على وضوح الطريق وسهولته أن نبذل جهودنا لأن نغرس هذه العقيدة الصحيحة في داخلهم، أمَّا البطر على نعمة الله فمن ورائه مصائب عظيمة.

ومعلوم أنّ التوحيد كان في بلاد الهند ما بين الدولة السعودية الثانية والثالثة، حتى أن المطابع الهندية كانت معروفة بطباعة السنَّة، ومِن أشهر الكتب التي خرجت مِن هذه المطابع كتاب (كنز العمال) لصاحبه: المتَّقي الهندي. السنَّة كان هناك مركزها، شيوخ وعلماء كبار، ثم حصلت فجوة في التربية فلم يُنقل الميراث للجيل الجديد، والعيب في الأمهات لأنهم لم ينقلوا الميراث للأبناء، ما عُظِّم العلم وما شُكِرت سهولته...إلى آخر ما تعرفون. ثم أصبحت الهند

اليوم–كما ترون–دولة فيها 365 ديانة وفِرقة، يعني بعدد أيام السنة أصبح فيها معبودات غير الله، سواء التي خرجت عن الدين والإسلام تمامًا، أو التي تعتقد نفسها مسلمة، أو التي وجدت مَن قوَّاها وقوَّى شوكتها وهو الاستعمار والاستشراق وإلى آخره.

هل معنى هذا أن التوحيد يترحَّل؟ نعم، يترحَّل التوحيد، يذهب الدين من البلاد. وكيف يبقى الدين؟ إذا كان عندكِ دين، وقلبكِ مليء به، فانقليه إلى الأبناء، واحتسبي على الله الحفاظ على الدين، بمعنى أننا نربِّي الآن ونحن نحتسب عند الله أنَّ نقْل الدين إلى الأبناء حفاظًا على دين الله، واعلموا أن دين الله منتصر بنا أو بغيرنا، إنَّما نحن مختبرين بنصره قال تعالى: **{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}**[1]. وإذا لم تنصروه **{يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}**[2].

فإذًا نحن نحتسب على الله أننا نشكر نعمة الأبناء، ونشكر نعمة السنَّة، ونشكر نعمة سهولة وصول الحق والدين، وأن أبناءنا لايرون الشرك، لايرون المقابر، لايرون الناس يتمسَّحون، هذا كله يحتاج إلى شكر، فيتعلَّم التوحيد، وفي نفس الوقت نحتسب على الله بهذا الذي نفعله أن نحفظ الدين، والله–عزَّ وجلَّ–يختبرنا بالاهتمام بالدين ونقله إلى أبنائنا.

بالطبع هناك مثيرات كثيرة للاحتساب لكن مُجمل مثيرات الاحتساب أنك تفكر عندما تدخل قبرك في ظلمة وتنقطع أعمالك، يبقي هذا الصالح–بل الصالحين والصالحات–تجري أعمالهم عليك، فإذا كانوا مِن أهل السنَّة–أسأل الله أن يبقينا جميعًا على السنَّة نحن وذرارينا والمؤمنين ونكون نحن وذرارينا مقيمي الصلاة–تجري هذه الأجور علينا، فهم عمر وراء أعمارنا، وهم مستعدون، فشكرًا لله نربِّيهم، وحفاظًا على الدين نربِّيهم على هذا الدين العظيم.

يأتينا الآن الشأن الثاني المهم وهو صلب الموضوع: **في ماذا أحتسب؟** أي: **أحتسب أيّ شيء؟**

---

(1) [سورة محمد: ٧]

(2) [سورة محمد: ٣٨]

بالأمس وأول الأمس ذكرنا أن احتسابنا في التربية سيكون حول أهم شيء وهو عقيدتنا في الله وما يلحق هذه العقيدة، وكررنا على أنفسنا أن الأمهات والمربّين لابد أن يعرفوا مَن هو الله، ويحتسبوا على الله في كل موقف يعيشونه أن يترجموا للأبناء كيف يعاملهم الله، وذكرنا في النقاش أننا مصابين بأمّية، فهناك أناس أمّيون لا يعرفون كيف يقرؤون أفعال الله، بل هناك مَن يقرأ أفعال الله كما يريد، على تفكيره، على عاداته، فمثلًا اشتهر بين الناس أن أي حرمان أو نقص أو منع من الله-يُمنع عنك شيء أو يفسد عليك شيء-مباشرة لايوجد تفسير إلَّا أنهم حسدونا، أصابتنا عين، ونشك أنه سحر...إلخ. وكلامي هذا الآن ليس إنكارًا لوجود العين ولا السحر ولا الحسد، فهذا حق ثابت، لكنه ليس بالطريقة التي نمارسها ونفسِّر بها الأشياء، إذا تصوَّرت أن كل نقص عين فأين ذهبت الذنوب وآثارها علينا؟ ألسنا نقول في سيد الاستغفار: ((**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ**))[1] فماذا يعني قولنا: (أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ)؟ أي أن الذي عملته وأذنبته له شر، وسيأتي هذا الشر عليَّ. أيضًا في دعاء الاستفتاح نقول: ((**اللهمَّ نَقِّنِي من الخطايَا كما يُنَقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَسِ، اللهمَّ اغْسِلْ خطايَايَ بالماءِ والثلجِ والبَرَدِ**))[2] بمعنى: أنا أخطأت وأعلم بأن هناك أثرًا للخطيئة فباعِد يارب ذلك عنِّي. أين ذهبت هذه الأحاديث؟ وأين ذهبت الأقدار والاختبارات؟ والصبر أين ذهب؟ قدَّر الله الأقدار اختبارًا لك. فتصوَّر شخصًا طوال الوقت يفسِّر أي نقص عنده بأنه بسبب عين أو حسد، يفسِّر بذلك الحياة، ومن ثمَّ يصبح جاهلًا لا يفهم تربية الله، فعندما يربِّيه الله ويمنع عنه بسبب ذنبه لا يستطيع تفسير هذا الأمر إلا بأن الناس فعلوا به هذا الشيء، ثم يأتي بأفكار مُخترعة: هل من الممكن أن الإنسان وهو في بيته يصيبه شخص آخر بعين وهو في بيت ثانٍ؟ كيف؟ كأنَّ العين مثل رسائل الجوال تصل عن بُعد! فكل هذا الكلام من الوسوسة طبعًا، حتى أصبح العين والحسد إله يُخاف مِنه مِن دون الله! حتى أن الخلق يقرؤون على أنفسهم، ويستودعون أنفسهم، ويفعلون كل التحصينات الشرعية، ومع ذلك تصيبهم العين! فلمَن ألجأ بعد ذلك إذا كنا نفعل كل هذا ثم في النهاية تصيبنا العين؟! وأنا أعيد عليكم: هذا الكلام ليس إنكارًا للعين، ولكن إنكار لترجمة المواقف والحياة كلها على أنه أصابتنا عين، وإن أصاب الإنسان عين فهذا قدر مُقدَّر ابتلى الله-عزَّ وجلَّ-به العبد، ويجب أن يمشي في الطريق

(1) رواه البخاري في صحيحه(كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، 6306)

(2) رواه البخاري في صحيحه(كتاب الأذان، باب ما يقول بعد التكبير، 744)

الشرعي حتى يخرج منه. لكن مثلا طالب كسلان أن يدرس، ثم يقول لك: أصابتني عين! والثاني لا يريد أن يذهب للعمل، فيقول لك: أنا نفسيتي متعبة، أصابتني عين! والثالثة ليست مطيعة لزوجها وفي قلبها حب للدنيا، تقول: والله أنا علاقتي كانت جيدة بزوجي ثم أصابتني عين! كل هذا هروب من الحقائق. هذا الكلام معناه أننا لم نعلِّم أنفسنا وأبناءنا كيف نفسِّر الحياة.

لا بد أن نحتسب على الله في تعليمهم كيف يعامل الله خلقه، لا بد أن يعتقدوا اعتقادًا صحيحًا في مَن هو الله، أنه ملجؤنا ومعاذنا وملاذنا، كلَّما احتجنا لجأنا و فزعنا إليه، فعندما تعلِّمينه أن يقرأ سورة الإخلاص بعد الصلوات مرَّة تلو المرَّة، قولي له: إنك تقرؤها حتى تذكِّر نفسك أنك لست وحدك، أبدًا لست وحدك، ولا تخف ولا تقلق على شيء، بل كلَّما احتجت تقول لنفسك بأنَّ لي مَن أصمد اليه، لي ركني الشديد كلَّما احتجت أو خفت، لا أحتاج الناس، ولا أقف وأتذلَّل بين أيديهم، إنَّما أفزع إليه الفزعة الأولى وهو يأتي لي بأبواب الصلاح والوصول. عندما يفهم ابنك ذلك جيدًا سيخبرك غدًا ويقول لكِ: فزعت إلى ربنا فأعطاني، وأنا قمت بكذا وربنا فعل لي كذا، ويبدأ يفسِّر الحياة ويجمع عليها المواقف والأحداث. هو في السابق كانت مشكلته أنه لم يكن يعرف الحروف والطريقة والجودة في قراءة الحياة، فماذا كانت النتيجة؟ أنه يقرأ كل الكلام مثل بعضه، بمعنى أنه لا يعرف الحروف. فعندما تعلِّمينه مَن هو الله يصبح يقرأ الحروف بصورة جيدة، بمعنى أنه يعرف كيف يقرأ الحياة بصورة جيدة، وهذا أكثر شيء نحتسب على الله أن نتكلَّم فيه، وكنَّا قد اتَّفقنا بأننا نحتسب أولًا على الله أن نتعلَّم، أي أننا لا نستعرض عضلاتنا على الأبناء ونحن متعالمين لم ندرس أسماء الله ولم نفهم ولم نبحث عنها في المصادر الصحيحة ولم نعرف كيف وصف ربنا نفسه في القرآن ولم نسمع كيف وصف ربنا نفسه في هذا الموقف وهذا الموقف.

فاحتسبي أولًا على الله أن تتعلَّمي، ثم احتسبي على الله أن تنتفعي مِن كل المواقف في صالح أن تقولي لهم بأنّ الله يبرُّك لأنه هو البَر الرحيم، الله يسمعك لأنه هو السميع، الله يعلم ما في قلبك لأنه العليم. وهذا كله أنتِ تعيشينه في المواقف ومن ثم تقولينه، فتحتسبين على الله أمرين:

1. أن تتعلَّمي.

2. أنكِ عندما تعيشين كل هذه المشاعر والمواقف تفهّمينه.

مشكلتنا أننا نظن بأن الذي عشناه مِن تجارب وفهمناه قد وصل إلى الطفل، أي أنّنا نظن بأن كل الذي في عقلي وقلبي قد وصل إليه، وكأننا وضعنا سلك لا سلكيّ أو سلكيّ وشبَّكناه عندنا وعنده وانتقل الكلام! وهذا ليس صحيحًا وبالذات في أعمال القلوب، بمعنى أنكِ في وادٍ وهو في وادٍ آخر، فكوني حذرة أن يتوه في أودية الدنيا، كوني حذرة أن يكون ذاك الذي وصفه الله في كتابه بأنه: {**حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**}[1] فالمفترض أننا نحتسب على الله كما نعلِّمه ونكلِّمه، أن نستفيد من مشاعره، وهذا كان كلامنا في لقائنا بالأمس وهو أننا في كل مرَّة نفهِّمه مفاهيم، ماذا نفعل في هذه المفاهيم؟ نعقد عليها مشاعر عظيمة، فعندما تكلِّمينه عن الله لا بد أن يعرف بأن الله عظيم، عندما تكلِّمينه عن الله بأن الله محسن، لا بد أن يعرف أنه-تعالى محسن-ويستحق أن يُحب، وهذا الكلام لا تقوليه مرَّة واحدة فقط، إنما تفْهَمين أنتِ مَن هو الله، تفْهَمين أسماءه وصفاته، وتقولين في كل مرة: انظر هُنا الله سَتَرَك، هُنا الله جَبَرَك، هُنا أعطاك، هُنا آواك، هُنا كفاك، هُنا حفظك، إلى أن تفسِّري الحياة كلها في مفهوم (أنت والله)، ومن ثم يفهم في نهاية الأمر أن لله تسعًا وتسعين اسمًا مَن أحصاها وعاش عليها دخل الجنة. لماذا دخل الجنة؟ لأن كل تفكيره في يومه وليلته مع الله رب العالمين، فهو يعرف بأنه هُنا جبره، هُنا ستره، هُنا رزقه، هُنا أعطاه، هو طامع في رحمته لا ينتظر من الناس أن يرحموه، ولا يسترجي أصحابه ويقول بأنهم لا يحبونني ويكرهونني، أبدًا، إنَّما هو ورب العالمين، هو ورب العالمين.

كل مرَّة تفهِّمينه الحياة، كل مرَّة تفهِّمينه عن الله، تربطين مع هذا التفهيم المشاعر، ولا بد أن تظهر المشاعر ولا يكون الأمر كلامًا فقط، فعندما تعظِّمين له القرآن وتخبرينه بأنه (شفاء، نور، هدى، وأنك يا بني كلَّما كبرت كلَّما رأيت الدنيا مظلمة، ومِن ثمَّ ستجد آية من القرآن تنير لك). ثم عندما تأتي المواقف ماذا تفعلين؟ مثلا كنتِ تقرئين آية مِن كتاب الله، ثم حصل أمامك موقف يمكن استغلاله والاستفادة منه، احتسبي على الله أنك تعيدينه وتحكينه

(1) [سورة الأنعام: ٧١]

له، وتقولين: (انظر لمّا قرأت هذه الآية ماذا كان وماذا حدث) إلى أن يستقر هذا في قلبه. بمعنى أن المسألة تحتاج أنكِ تحتسبين التكرار، تحتسبين المواقف، تفكّرين كيف أوصِّل له هذا الموقف بصورة تؤكِّد عليه عقيدته في الله.

مَن تعلّم عن الله وبدأ يفهم حقائق أسماء الله وصفاته وبدأت عينه ترى الحياة مِن خلال أسماء الله، سينجلي عن قلبه هذا الرّان الذي فَصَلَنَا عن رب العالمين وجعلنا وكأننا نحن الذين نفعل ونحن الذين نَعْقِل، وكأننا نحن نقرّر!

كلَّما زادت معرفة رب العالمين كلَّما زال الرّان، ولما يزول ستقرئين المواقف بصورة جيدة، لماذا؟ يكشف لك رب العالمين كيف جبرك، وكيف سترك، فهذا يصبح سهل في نقله لأبنائك. فمثلا لما تكون الليلة ليلة اختباره، وأنت كنتِ تدرّسينه، وقد وفّقك الله لأن تقولي له بأن هذه الفقرة مهمة، وأنه يمكن أن يأتي عليها سؤال، بحكم أنكِ كبيرة وتتصورين المسائل، ومن ثم يذهب إلى المدرسة ويأتي في الاختبار الذي توقعتيه، فيعود ويقول لكِ: (الذي توقعتيه جاءني). المفترض هنا كيف يُفسّر هذا الموقف؟ بأن تقولي له أن التوفيق مِن الله، وأنّ الله هو الذي يوفّق العبد لأن يرى الأشياء. لكن للأسف نحن دائما نستغل المواقف في استعراض قوانا، ونقول: (أرأيت كيف أمك تفهم، المفترض أنك تسمع كلامها) ونستغل الموقف في صالحنا حتى تَعْظُمْ أمه عنده، بينما هو لو عظّم الله سيمتثل أمر الله فيبرّك ويبرّ والده، لكن لما تعظّمي نفسك عنده ستكون النتيجة بأن تأتي مواقف تكسرك عنده، والله سيبيّن له ضعفكِ، وفي النهاية سيأتي ويقول لكِ: لقد ظهر لي بأنكِ جاهلة وأنكِ لستِ مِن نفس عصرنا وأنكِ كذا وكذا. لكن عندما تعظِّمين الله سيضع الله في قلبه احترامك وبرَّك وكل ما تريدين، وإنْ لم يضع الله هذا في قلبه، فنحن ننتظر شكر الله لا ننتظر شكره هو. لكل شخصٍ طباعه وتصرفاته وردود أفعاله، فلا تنظري إليه–وأنتِ تحتسبين–ولا إلى المجتمع، لا تقولي: (كلما أكلمه لا يستجيب)، أنتِ قولي والله يسمعكِ، أنتِ قولي والملائكة ستكتب في صحائفك، لا تقولي: حتى هو يسمع، إنما قولي حتى رب العالمين يسمع، فإذا سمعك رب العلمين أوقع في قلبه الكلام، فلا يصبح التفكير في هذا الابن، لا يصبح التفكير في قدرته على الاستجابة، التفكير في الله الذي يقلّب القلوب، فتعملين من أجل أن يرضى الله، فيرضى الله ويقلّب قلبه على الحق، لكن ما دامت عينك على نظر ابنك وقلبك عليه وتفكرين فيه، فسيؤَكَلْ لكِ. لكن المفترض أن تكوني مع رب العالمين، ورب العالمين يُوقِع هذا الكلام في قلبه، والاختبار

للآباء والأمهات في: ماذا تريدون مِن تربية الأبناء؟ هل تريدون أن يثقِّلوا موازينكم أو تريدون أن تفاخروا بهم عند الناس؟ ثم ماذا ستعلِّمونهم؟ هل ستعلِّمونهم تعظيم الله وتوقير الرسول-صلى الله عليه وسلم-وحب الصحابة وأمهات المؤمنين وأنَّ القرآن منهج حياة، أم ستقولون لهم عن الدنيا وأهلها؟ فهذا هو الاختبار، ثم الصالح يصلحه الله والفاسد يمنعه الله مِن الصلاح. وهناك كثير من الأمهات قد لا تكتحل عيونهم في حياتهم بصلاح أبنائهم، فيموتون، وتجري الأجور لهم وهم في قبورهم، فالذي يُعامِل رب العالمين لا يفكِّر أبدًا في الناس ولا يفكِّر حتى في المتربِّي، لكن نحن نسأل الله-عزَّ وجلَّ-ألا تزيغ قلوبنا أبدًا أبدًا عن الصراط المستقيم، وأن تبقى بصائرنا ترى رب العالمين، ليس وراء الله مرمى، ليس هناك أحد خلف ربنا ترينه، وإنَّما عينك وبصيرة قلبك فقط على رضا رب العالمين.

ثم أنّ قِبلة القلب هذه مريحة جدًا أثناء العمل، فما هي قِبلة قلبك؟ كما أن بدنك في الصلاة قِبلته الكعبة، فقلبك في كل وقت تطيع الله فيه-وخصوصًا في التربية-إلى الله، إلى السماء، فالله-سبحانه وتعالى-مِن صفاته أنه العليُّ على خلقه: عليٌّ بصفاته، عليٌّ بذاته-على العرش استوى-، فقلبك لا يخاطب إلَّا الملك العظيم الرب الكريم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، فهو ليس بحاجتنا-سبحانه وتعالى-إنَّما نحن الفقراء وهو الغني، أسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يغنينا بطاعته جميعًا، اللهم آمين.

إذًا اتفقنا أننا سنحتسب أن نعلِّمه العقيدة الصحيحة، ونحتسب أيضًا أن نعلِّمه المفاهيم الصحيحة مع عقد المشاعر حولها، والعقيدة الصحيحة ستكون في الله، في القرآن، في النبي-صلى الله عليه وسلم-، في الصحابة الكرام، في زوجات النبي-صلى الله عليه وسلم-، وهكذا، فالمطلوب أن يكون كل هذا واضحًا عندك، ثم تبدئين أنتِ بإيصاله مع وجود المشاعر فيه.

نبدأ اليوم في الكلام الجديد والذي سيكون متصلًا بما اتَّفقنا عليه بالأمس...

نريد أن نعلِّمه حقيقة الاختبار في الدنيا، فما هي حقيقة الدنيا؟ المفترض أن الابن يَعْلَم مِن أين أتى، فنحن طوال الوقت نقول له بأن ربنا خلق آدم-عليه السلام-مِن تراب، وأسْجَدَ له الملائكة. ولا تعتبري هذه القصة مجرَّد قصة مِن بين القصص. فللأسف هناك مِن أبنائنا مَن ابتعث للخارج وفوجئ لما عرف بأن الناس هناك يقولون بأن أصل الإنسان قرد، استنكر الأمر في البداية ثم فكَّر فلم يجد عنده شيء يقوله خِلاف الذي قالوه، ثم صدَّق ما يقولون وقال بأن عندهم إثباتات علمية! وأقول: هذا المثال للأسف صحيح، هو مثال نادر لكنه موجود من بين أبنائنا. أتعلمون ما هي المشكلة؟ أنه لمَّا فتح عيونه على الدنيا لم يخبره أحد من أين أتى، لم تُقل له قصة آدم وأن الله خلقه بيديه وأسجد له الملائكة، كل هذه القصة ما سمعها أو ما استحضرها، فما كُرِّرت عليه، وإنَّما مرَّت عليه مرور الكرام، يقرؤها كأنه ليس معنيًا بها، وأنتم تلاحظون أن هذه القصة العظيمة أتت أول قصة في ترتيب المصحف، ثم أنها ذُكِرت في سورة البقرة مختلفة عما ذُكِرت في سورة الأعراف، فلما ذُكِرت قصة آدم-عليه السلام-في سورة البقرة ذُكِرت على وجه الامتنان، أي اعبدوا الله لأنه كرَّمكم وأعطاكم وأسجد لأبيكم الملائكة وفعل لكم، فالمفترض أنني في كل مرَّة أقول لابني: أنتَ كريم،كرَّمك الله مِن عند نشأتك. فيبقى هذا في تفكيره بحيث لو جاءت له ريح من اليمين أو الشمال، فلا يستطيع داروين ولا قرد ولا كل هذه الأفكار أن تخرق هذا اليقين، لكن مِن أين يأتي اليقين؟ لا يأتِه اليقين إلَّا عندما يتكرر عليه المعنى.

فالمقصد أنه لا بد بأن يعرف قصة الحياة كلها: مِن أين أتى وإلى أين المصير، لماذا لابد أن يعرف هذا كله؟ لأن الأفلام مثلًا التي يراها، يسمع فيها بصورة خفيَّة أن الناس لا يموتون فيدخلون القبور، وإنما تتناسخ أرواحهم، ففي أفلام الكرتون القديمة يسأل ويقول: مَن هؤلاء الذين في السماء-يعني النجوم-؟ فيرد: هؤلاء أجدادنا العظماء! ماذا يعني أجدادنا العظماء؟ يعني هؤلاء لمَّا ماتوا كانوا خيِّرين فصعدت أرواحهم وصارت نجمًا! أو يأتي مثلًا يكلِّم الشجرة فيقول لها: يا جدَّتي ويا جدَّتي. ويخاطبها نحن لأننا كبار لا نصدِّق هذا الكلام فنقول بأنه نوع من أنواع الخطاب المعنوي، والصحيح أنهم يعتقدون أن الروح قد حلَّت في هذه الشجرة، وهذا تسريب حتى يستعد الابن، فإذا كبر وقيل له: إن الناس لا يموتون وإنما تتناسخ أرواحهم. يكون هو أصلًا مستعد لهذا الكلام.

إذًا نحن عندنا أسئلة محدَّدة لا بد أن نناقشها في العقيدة:

- السؤال الأول: مِن أين أتينا؟
- السؤال الثاني: إلى أين المصير؟

ولذلك دائما يُقال: {وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}، مثلًا: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ}[1] ففي هذين السؤالين حاولي أن تغلقي عليه تمامًا الأفكار الأخرى، فتحكي له دائما قصة آدم، ومِن الجهة الأخرى تقولين بأننا سنلقى ربنا، وعندما تحكين عن الموت لا تحكي عنه كأنه فيلم مُرعب، الموت يكون لأهل الإيمان–وهو يجب أن يكون مِن أهل الإيمان–رَوْح وريحان وجنات نعيم. في القبور هناك أناس يتنعَّمون نعيمًا لو جُمِع نعيم أهل الدنيا كله ما ساوى شيئًا في نعيمهم، في القبور هناك أقوام يرون أماكنهم ومنازلهم مِن جنات النعيم. فلا أصوِّر له الموت على أنه شبح، المفترض في بداية تفكيره أن يفهم أن الموت مرحلة يمر بها الإنسان، كل الصعب فيها هو الفراق، لكنه سيذهب إلى مكان خير مِن المكان الذي نحن فيه مرَّات ومرَّات، كما يقول ذاك الشاعر:

جاورتُ أعدائي وجاور ربه ** شتَّان بين جوارِه وجواري

فالآن أنا جالس مع أعدائي، مهما كانوا هؤلاء أصحاب ففي النهاية هم أعدائي، يعني لو لم تكن هناك سوى لقمة واحدة نأكلها سيأخذونها منِّي، فأنا جاورت أعدائي وهو جاور ربه، شتَّان بين جواره وجواري، فالذي يجاور ربنا سيكون في النعيم.

(1) [سورة غافر: 3]

هذه المشاعر تجاه الموت لا تجعله رعبًا ولا تجعله يوسوس فيه، وإنَّما قل لابنك: يا بني لو مشيت على الصراط المستقيم ستأتيك ملائكة تقول لك: لا خوف عليك فيما تستقبل، ولا تحزن على ما تركت، إنَّما ستذهب لخير مكان، ولذلك قال رسولُ اللهِ-صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: ((**مَن أحبَّ لقاءَ اللهِ، أحبَّ اللهُ لقاءَهُ**))[1]

فكيف أُخْرِج أنا مِن تحت يدي شخصًا يحب لقاء الله؟ قالت عائشة-رضي الله عنها-للنبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**فَكُلُّنَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ**)) فقال: ((**لَا لَيْسَ بِذَاكَ**)) فليس المطلوب أن يحب الموت، لكن المطلوب ألَّا يخاف مِن الموت، بل يعتبر الموت مثل الولادة، الآن عندما تكون الأم حامل فمهما كانت تعرف مِن آلام الولادة إلا أنها تريد أن تلد، لا تريد أن يبقى الطفل في بطنها وإنما أن يولد ويخرج من بطنها، وكذلك الذي يعرف أن خلف هذا الموت نعيم ماذا سيفعل؟ ينتظر الموت ويستعد له. انظري للأثر الذي سيحدث عندما ينتظر النعيم خلف الموت. فعندما تكلَّمت أنا معه وتناقشنا وقلنا بأن الناس الطيبين عندما يذهبون إلى ربنا سيحصل لهم كذا وكذا، ثم ترين ابنك يسلك سلوكًا غير حسن، فتقولين له: ليس هذا مَسْلك الذي يريد الجنة. فتجدينه مباشرة يقول: استغفر الله. لماذا؟ لأنه على باله بوضوح أن هناك مسلكًا خاصًا لمن يريد أن يكون وراء موته الجنة، فيصبح الموت بالنسبة له مجرد حالة من حالات الانتقال.

إذًا من الضروري أن تكون هذه المفاهيم تامة الوضوح: من أين أتيت؟ إلى أين المصير؟ وقد اتَّفقنا في مسألة: من أين أتيت؟ أن نحكي قصة آدم عدَّة مرَّات، وأن ربنا خلق آدم وأسجد الملائكة له...إلى آخر هذا الكلام الواضح جدًا في أذهاننا.

ثم يأتي بعدها الكلام حول: إلى أين المصير؟ وبين الإتيان والذهاب-الآن ما دمت موجودًا هنا في هذه الدنيا-ماذا يجب عليَّ أن أفعل؟ لابد أن يتنبَّه الابن أنه في آخر قصة آدم عليه السلام-سواء جاءت القصة في سورة البقرة أو الأعراف أو طه-لما أهبط الله آدم عليه السلام أخبره خبرًا مهمًا قال تعالى:

(1) رواه مسلم في صحيحه(كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، 2685)

{بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}[1] إذًا أنت نزلت الأرض اختبارًا، وهناك ثلاث آيات يجب أن تكون تامة الوضوح في أذهاننا، وكلَّما كبر الابن كلَّما زادت وضوحًا لديه.

الآية الأولى في سورة تبارك، قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}[2] هذه الآية مهمة جدًا، وفيها كلمتيّ: (الموت والحياة)، والموت والحياة من المفاهيم السهلة جدًا على الطفل، فلو قلتِ له: انظر كيف ولدت الشمس وأشرقت، انظر لها وهي في رابعة النهار أصبحت شابة، ثم انظر كيف ماتت في الغروب، وسيعيدها الله مرة أخرى، انظر أيضًا إلى القمر كيف ولد هلالًا، ثم صار بدرًا صار شابًا، ثم في آخر الشهر يموت، ثم يعيده الله مرة أخرى. فالموت مفهوم سهل جدًا على الطفل لو أنتِ عرفتِ جيدًا أين تضعينه.

الشاهد أنه لابد أن يعرف من أين أتى وإلى أين سيذهب، ونقول له: أنت موجود هنا مِن أجل أن تُبتلى، أنت في اختبار طوال النهار. وهذا الكلام يُخاطَب به طفل السادسة فما فوق، وقد لا يفهم وتكون هذه الكلمة مجهولة غامضة لديه، ثم كلَّما كبر يمتلئ بالمعاني. الطالب عندنا في المرحلة الابتدائية خصوصًا مع أسلوب التقويم المستمر لا يفهم جيدًا ماذا يعني الاختبار، لكن يسمع الكبار يقولون هذه الكلمة، وهو لا يفهم ولا يحس بمشاعرها، ثم عندما يصبح في الصف المتوسط يتفاجأ بالمشاعر وأن الناس يختبرون ويخافون، كذلك بالضبط مفاهيم الدين كمفاهيم الدنيا، أي أنه يسمعها في البداية ومن ثم يعيشها. فلا تتصوري أنه وهو صغير مطلوب منك ألَّا تقولي له هذه المفاهيم إلَّا عندما يكبر؛ لأنه عندما يكبر يكون قد فهم عن الحياة ما يريده والذي علَّمه إياه أصدقاؤه والذي نتج مِن تجاربه الخاطئة، وأصبح يفسِّر الحياة كما يريد، ونحن نعْلَم أن التعليم في الكبر صعب بينما التعليم في الصغر يسير، وعندما نصوِّر الأمر حسيًّا كأننا نأتي بالكلمة ونحفر لها بئرًا، فيكون البئر سطحيًا أول الأمر، فمثلا لا يعلم ما معنى كلمة اختبار، ثم نحفر قليلًا قليلًا، فمع الأيام يصبح البئر عميقًا مليئًا، مليء بالخيرات، مليء بالكلام الذي تقولينه له، وعندما يكبر يمكنه أن يغرف من هذا البئر الممتلئ بالماء-أي الممتلئ

(1) [سورة طه: ١٢٣]
(2) [سورة الملك: ٢]

بالمعاني–فيغرف منه في كل مرَّة يحتاج فيها، لكن البئر هذا لا يُحفر مِن مرَّة وحدة، في كل مرَّة تتكلمين معه كأنكِ بذلك تحفرين البئر، وهكذا إلى أن يمتلئ بالمعاني، يمتلئ خيرًا.

فمن الكلمات التي نقولها له أننا في الدنيا في ابتلاء، نحن مختبرين، الدنيا دار اختبار. الابن هذا يدرس في المدارس ويعرف أن كل اختبار له منهج وله وقت محدد، فمن أين سنأخذ المنهج؟ قال تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}[1] فلا بد أن ندرس القرآن حتى نعرف كيف نجيب على الأسئلة ونستعد للاختبار. متى سيأتي الاختبار؟ مثلا زميله اعتدى عليه، فنقول له: ربنا هنا يختبرك. مثلًا أخذوا أغراضه، فنقول: ربنا هنا يختبرك. مثلًا كان في موقف ما وأكرم الناس، نقول له: ربنا هنا يختبرك. فتصبح المواقف عبارة عن الإجابات، ونحن سنشرح لاحقًا كيف ستكون الإجابات هذه بمثابة القواعد، لكننا الآن نوضّح كيف أن الابن لا بد أن يعرف من أين أتى، وكيف أن الله خلق آدم، ولا بد أن يعرف إلى أين المصير، ونحن نتكلَّم معه عن موت المؤمنين حتى يرغب أن يكون من المؤمنين، ثم هو في النهاية عندما يعرف الكافرين والفاسقين ويعرف المنافقين، سيعلم أنهم ليسوا متساوين، وسيأتينا الكلام في النقطة التي بعدها أنه لا يمكن أن يتساوى محياهم ومماتهم.

فإذا عَلِمَ من أين أتى وأين المخرج، ماذا سيفعل في الوسط؟ نخبره أننا في اختبار، لكن قاعة الاختبار كبيرة، وورقة فلان مختلفة عن ورقة فلان، ثم عندما يأتيك يا بني الاختبار ليس لك علاقة باختبارات الآخرين، فلا تأتي كل يوم تقول: فلان أخطأ، وفلان اعتدى على المعلم. اسمع يا بني، هذا اختباره هو، ربنا اختبره بذلك، واختبارك أنت أن تنصحه، فإذا لم تنصحه فليس لك علاقة بورقة اختباره. ونحن كلَّنا نقع في هذا الخطأ، فمثلا تكون عندي جارة، وزوج جارتي فيه ما فيه من العيوب، وفي كل يوم أنا أدعي عليه في الصلاة!! لماذا تفعلين ذلك؟ هذا اختبارها هي، أنتِ لا دخل لك في اختبارها، فنحن نزورها ونسمعها وهي تحكي وتحكي ونزيد أحقادنا نحن وهي، لماذا؟ هذا اختبارها، فإذا قلتِ لها كلمة طيبة فجزاك الله خيرًا، وحتى تقولي الكلمة الطيبة لا يستلزم الأمر أن تقول لكِ قصة حياتها كلها، يمكنها أن تقول لك الكلام باختصار، وتردين أنتِ بكلمة مختصرة. نحن بأنفسنا نحتاج إلى أحد يرشدنا. أذهب أنا

(1) [سورة طه: ١٢٣]

لأحكي وأسمع حكايتها لماذا؟ هذه ورقة اختبارها، هي تلجأ لربها وتنكسر بين يديه، فإذا أردتِ أن تحسني لها فإما أن تنصحيها أو تدعي الله لها أن يرشدها ماذا تفعل، وتدعين لعائلتها...الخ. هذه حدود الاختبار، لكن المشكلة أن أولادنا أصبحوا مثلنا، تاركين لأوراق اختبارهم وينظرون في أوراق الآخرين: هؤلاء حصل لهم وهؤلاء حصل لهم. هذا ليس موضوعنا إنَّما موضوعنا هو اختبارنا نحن.

ثم كيف نجيب؟ وكيف ندْرُس؟ بالقرآن، لابد أن يكون القرآن المنهج. والقرآن يكون منهجًا في الحياة إذا كان منهجًا لكِ أنت، فلن يكون منهجًا للأبناء إذا لم يكن في الأصل منهجًا لكِ، وستأتي الأمثلة التفصيلية إن شاء الله.

متى وقت الاختبار؟ كل المواقف التي تحصل لك مِن الأقدار هي وقت الاختبار. الله-عزَّ وجلَّ-قدَّر الأقدار، والأقدار هي ورقة الاختبار، ورقة الاختبار هذه خفيَّة عليك، لا تعرفها، إنما تُعرض عليك في المواقف، فماذا ستجيب؟ هذه ورقة الاختبار. حسنًا، ما دام أنَّ الله قدَّر الأقدار، ما هو دوري أنا؟ دوري كيف سأتصرف عندما تنزل الأقدار، فإنْ تصرَّفتُ بما يرضي الله كُتبت لي الأجور، وإن تصرَّفتُ بما لا يرضي الله كُتبت عليَّ الأوزار إلَّا أن أتوب. مثلا لو كنت من عائلة فقيرة، هذا قدَر، ما هو المطلوب منك تجاه القدر؟ أن ترضى عن الله. الرضا عن الله هو اختبارك، وهذا نجاحك في الاختبار. وقد تكرر في القرآن الكلام عن الرضا، وفي السنَّة أيضا تكرَّر، فتعلَّم وارض. إذًا الأقدار التي قدَّرها الله هي أوراق الاختبارات.

ما هو النجاح؟ أن تبذل ما تستطيع في أن تفعل ما يُرضي الله في هذا الموقف، اجتهد في فعل ما تستطيع، والله هو الموفق.

مفهوم القضاء والقدر يعتبر شريان مفهوم الحياة، أي أنك ستفهم الحياة عندما تعرف أنه قُدِّر عليك كل شيء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف عام، واختبارك في ماذا تفعل عندما تواجه القدر: هل ستصبر؟ ستشكر؟ ولذلك النبي-صلى الله عليه وسلم-يقول في شأن المؤمن: ((**عجَبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ وليسَ ذلكَ لأحَدٍ إلا للمُؤْمِنِ، إنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ، وإنْ أصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فكانتْ خَيرًا لهُ**))[1]

(1) رواه مسلم في صحيحه(كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، 2999)

الضراء هذا القدر، والصبر هو العمل المطلوب منه، فكان خيرًا له، والسَّراء مطلوب منه الشكر. كل الحياة صبر وشكر، ولهما أشكال مختلفة: بمعنى كيف يكون الشكر على نعمة الأبناء؟ بأن يربّيهم كما ينبغي، فكان خيرًا له. ولو رُزقت أن تكون مِن عائلة مثلًا لها جاهها، هذا اختبار، فإنْ شكرتَ على نعمة الله وصبرت على ألَّا تتكبَّر فقد قمت بما يجب عليك، نجحت.

إذًا الحياة عبارة عن ورقة الاختبار التي هي الأقدار، ولا يقال لك: اصنع قدرك، إنما يقال لك: كيف ستفعل فيما قدَّره الله؟ والله أعلم بما كنت ستفعل. وهذا صلب المسألة الخطيرة، حيث تجد مَن يأتي فيقول: ما دام ربنا قدَّر الأقدار، إذًا ليست لي علاقة. نقول: جزاؤك وحسابك على ما تفعله أمام القدر وليس على القدر نفسه. فلو كنت مثلًا سائرًا في طريقك وجاء أحدهم فاعتدى عليك، ماذا ستفعل؟ هل ستغضب؟ أم ستهدأ؟ ماذا ستفعل بالضبط؟ الذي ستفعله هو الذي يُقدَّر لك نجاحًا أو فشلًا.

من الأشياء المهمة التي يجب علينا أن نبيّنها للأبناء، ونحتسب على الله أن نبيّنها ونفهّمها ونكرّرها عليهم، مسألة: كيف يعامل الله–عزَّ وجلَّ–الخلق؟ أي: سنن الله في معاملة الخلق. فنحن في البداية سنعلّمهم العقيدة الصحيحة، ومِن العقيدة الصحيحة سنعلّمهم الحياة، ما هي حقيقتها، ومِن ثمَّ مِن الأشياء المهمة التي يجب أن نعلّمهم إيّاها: كيف يعامل الله–عزَّ وجلَّ–الخلق، وكيف يجب علينا نحن أن نعامله.

سنتكلَّم الآن عن سنن الله في معاملة الخلق:

- مِن الكلمات التي دائما سنكررها معه قول الله –تعالى–في سورة الإسراء: {إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ}[1].

(1) [سورة الإسراء: 7]

فإذا أحسنت، فأنت أحسنت لنفسك في الحقيقة، كيف؟ لأنك لو أحسنت أحسن الله إليك، فتكون ماذا فعلت في الحقيقة؟ أحسنت لمن؟ لنفسك. ثم لا بد أن تحدث مواقف. عندما تحصل المواقف احتسبي على الله أن تقولي له: هذا الموقف على قاعدة أنك إذا أحسنت فأنت في الحقيقة أحسنت لنفسك.

وهناك قصة عن امراة كانت مسافرة إلى إحدى الدول، وأبناؤها-ما شاء الله-كثير، كانوا في الفندق، ثم هي جمعت الأغراض وخرجوا، وهي كانت آخر مَن يخرج، ثم أنها رأت هناك بجانب الستارة تفاحة ملقاة على الأرض، فوقع في قلبها أنهم في الخارج ينتظرونها، وفي نفس الوقت التفاحة ما يجوز تركها مرمية، فذهبت للتفاحة ورفعتها، فوجدت إحدى البطاقات الثبوتية لهم!

هذا الموقف عبارة عن درس مباشر في الإحسان: أنك إذا أحسنت يحسن الله إليك. فمثل هذا الموقف لا بد أن يُحكى ويُنقل. المقصود أننا نضع قاعدة، والحياة ليست حكايات، الحياة عبارة عن قواعد تُفسِّر مواقف، وابنك يعيش معكِ، أي أنكِ لستِ بحاجة إلى أن تقولي له كلامًا كثيرًا في الحكايات، إنما مباشرة تقولي له في المواقف: انظر كيف أحسن الله إلينا، لا تخطئ في حق نفسك، أنت بذلك تمنع الإحسان-تمنعه عن نفسك-لأن مَن أحسن أحسن الله إليه.

ثم اعلمي أن المواقف التي تبيّن له تحصل مباشرة، ونحن نزيد على الابن فنقول: ربنا يقول: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ}[1]، ونزيد عليه فنقول: {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}[2] إلى أن يحصل في قلبه الاستقرار. ثم في الأخير أقول له: الله-عزَّ وجلَّ-يقول: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[3] هذا كله لابد أن يكون مرتبطًا ببعضه البعض في عقلك، ثم في كل مرة يحصل موقف، نتكلَّم مع الابن فنقول له: كيف تفعل فعلا يحبك الله من ورائه؟

(1) [سورة الرحمن: 60]
(2) [سورة الكهف: ٣٠]
(3) [سورة البقرة: ١٩٥]

تخيل: أنت في الأرض لا شيء، أي أنني لو رأيتك من طائرة هيلكوبتر أو طائرة نفَّاثة، لن تكمل حتى نقطة عن بُعد، لكنك تعمل عملًا بسيطًا فيحبك الله مِن أجله، هل تعلم ماذا تعني محبَّة رب السماوات والأرض لشخص يمشي على الأرض؟ تعني كل السعادة التي يمكن أن يحصِّلها الخلق، الدنيا كلها تطيب. فنشعر الابن منذ البداية أن حُب الله شيء عظيم، ومِن ثم تقول له: إذا أحسنت فإن الله يحب منك الإحسان، بل يحبك الله...

المقصود أن هذه قاعدة من قواعد معاملة الله، أو سنَّة من السنن التي يعامل الله بها خلقه. مثلًا يأتي موقف يسمع فيه في سورة الإسراء قوله تعالى: {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا}[1] فالابن يبذل جهده أن يحسن، ثم لابد أن يخطئ، يقصِّر مثلا في حقي، في حق والده، أجداده، في حق المعلم، لابد أن يخطئ، فنقول له: {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ} أي أنك تكون حقًا تريد الإحسان لكن أخطأت {فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا} فقط ارجع، وسيحبك الله. معنى ذلك أننا لا نغلق عليه كل شيء، فحتى لو وقع في خطأ، هناك ما يعيده إلى الطريق المستقيم. واقرؤوا تفسير هذه الآية في كتاب الشيخ السعدي، ستقرؤون كلامًا جميلًا، معناه بالإجمال أنّ الانسان إذا استقرت في قلبه إرادة الخير، فإن الله-عزَّ وجلَّ-يعلم هذه الإرادة، فعندما يعود يجعله كأنه لم يقع في خطأ {إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا}. الآية أتت في سياق الكلام عن بر الوالدين، وهذه مسألة حساسة جدًا لأنها على مدار الحياة، وأيضًا نحن قد نضع غضبنا على الأبناء، نغضب فنصرخ عليهم، فيقول لك الابن: لماذا تصرخين عليّ؟ سؤال الابن في مكانه لكن لا يليق أن يسأله، ثم يندم أنه فعل هذا الفعل، ويرى نفسه أنه أخطأ، فأقول له: ربنا عالم بالذي في نفسك، فإذا كان في قلبك إرادة مستقرة للإحسان للوالدين {فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا} فعامِل الله، لا تعاملني أنا، إنما عامِل الله وهو سيعاملك أحسن المعاملة. إذًا هذه من السنن العظيمة في معاملة الله-عزَّ وجلَّ-لخلقه.

(1) [سورة الإسراء: ٢٥]

أيضًا مِن السنن العظيمة قوله تعالى: {فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ}[1].

اللهِ-عزَّ وجلَّ-غني، مِن أسمائه الغني ومِن أسمائه المتكبِّر، أي الذي ليس بحاجةٍ لعبادة الخلق، هو الغني، بل هم المحتاجون إليه، فدائمًا نقول للابن: المهتدي يهتدي لنفسه، ونضرب له أمثلة، لأن كلمة (الاهتداء) كلمة جميلة عند العرب، معناها كأنك في طريق، ولك مقصد وهو أنك لا تريد أن تسقط مِن الجبل ولا تريد أن تجد نفسك في وسط قاع البحر، إنما تريد أن تمشي في بر الأمان. الطرق متشابهة، في أولها كأنها تبدأ مِن نقطة واحدة، لكن هذا الطريق يؤدي لكذا وهذا الطريق يؤدي لكذا، فانتبه، وحتى تهتدي إلى الطريق الذي آخره بر الأمان وليس سفح جبل ولا قاع بحر، لابد أن تطلب مِن الله أن يهديك، وإذا اهتديت فأنت الذي ستنجو، ليس هناك أحد غيرك، أي أنّ الذي سيقع مِن سفح الجبل أو يغرق في قاع البحر هو أنت، ولست أنا، فإذا اهتديت فأنت تهتدي لنفسك، أنت الذي تنجو ولست أنا، فلا بد أن تكون عنايتك بالهداية هي شأنك. هذا الكلام نقوله له طبعا عندما يكبر، فكلَّما كَبُر وضعنا له سننًا أكثر. ثم أنّ هذه الآية العظيمة تحل مشكلة كبيرة، فهناك مَن يقول: ربنا لم يهدني بعد. فنقول له: اسمع، إذا ابتدأتَ الله بالهداية سيهديك. {فَمَنِ اهْتَدَىٰ} هو الذي بدأ {فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ} ثم توسّعين بعد ذلك لابنكِ مفهوم الاهتداء، تبيّنين له قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}[2] وقوله تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}[3] إذًا البداية مِن مَن؟ منك، أنت تطلب الهداية، وعندما تهتدي ستهتدي لنفسك.

كيف أهتدي؟ قل: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[4] في الصلاة وقلبك حي، وسيدلُّك الله إلى الصراط المستقيم.

(1) [سورة يونس: ١٠٨]
(2) [سورة محمد: ١٧]
(3) [سورة الصف: ٥]
(4) [سورة الفاتحة: ٦]

مفهوم الهداية من المفاهيم المهمة جدًا، فالابن قد يسمع في ثقافة الناس المجاورين حوله، من يقول: (أنا عندما يصبح عمري أربعين سنة-إن شاء الله- سأهتدي) أو (أنا عندما يصبح عمري كذا سأتحجب) وهذا الكلام الذي يعتقد صاحبه أن قلبه بيديه، وكأنه يقلب قلبه فيصبح مِن أهل الإيمان! وكأنه لا يسمع كلام النبي-صلى الله عليه وسلم-وهو يصف الناس وكيف يكبرون ويكبر معهم حب الدنيا وطول الأمل ((**يَكبَرُ ابنُ آدَمَ ويَكبَرُ معهُ اثْنانِ: حُبُّ المالِ وطولُ العُمُرِ**))[1] أي أنك عندما تكبر لن تُحل المشكلة، بل ستزيد المشكلة سوءً! لذلك إذا لم تمرّن نفسك وأنت صغير، سيصبح قلبك قاسيًا عندما تكبر.

في المقابل نحن قد نلتقي ببعض الناس الذين اهتدوا عندما كبروا، اعلم أن هؤلاء لا بد أنهم رأوا الهدى أمام أعينهم قويًا في أصول طفولتهم، فحتى لو ضلُّوا في مرحلة الشباب، يعودون. لكنك أيضًا ترى كما أنَّ هناك مِن الناس مَن يهتدون، هناك في المقابل مثلًا بعض النساء الذين تكون أعمارهم في سن الهداية والاستقرار والبعد عن الدنيا والجري وراءها، ترى عندهم ارتفاع في نسبة عمليات التجميل مثلًا، هذا مؤشر لماذا؟ بالضبط مثلما وصف النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**يَكبَرُ ابنُ آدَمَ ويَكبَرُ معهُ اثْنانِ: حُبُّ المالِ وطولُ العُمُرِ**)). عندما كنا صغارًا ويأتي مَن يقول لنا بأن فلان عمره خمسون سنة. نقول: هذا شخص كبير. لكن الآن عندما كبرنا وأصبح يُقال لنا بأن فلان عمره خمسون سنة، نقول: مسكين لا زال صغيرًا! تنقلب عندنا الأعمار. فلما كنا صغارًا كنا نرى مَن هم في الأربعين والخمسين كبارًا، ونرى أنه من المفترض أن يكون صاحب هذا العمر عاقلًا، ثم لما أصبحنا في هذا السن ويأتي مَن يقول لنا بأن فلان عمره أربعون أو خمسون، نقول: مسكين لا زال صغيرًا. هذه المشاعر الانقلابية هي بالضبط معنى حديث النبي-صلى الله عليه وسلم- أنّه يكبر ابن آدم ويكبر معه هذا الشأن. فلما نعِد أنفسنا بالهداية عند الكبر، وأنّه غدًا عندما أكبر سأهتدي، لابد أن نفهم أنه غدا عندما نكبر يكبر معنا حب الدنيا، فلا بد أننا مِن البداية نؤدِّب أنفسنا.

(1) رواه البخاري في صحيحه(كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة، فقد أعذر الله إليه في العمر، 6421)

على كل حال، مفهوم الهداية هذا من المفاهيم المهمة جدًا. كيف يعامل الله خلقه فيها؟ إذا كنت تطلب الهداية سيهديك الله. إذا كنت تقول: أنا لم يأتِ وقت هدايتي بعد، يحجبك الله عنها. كيف تطلب الهداية؟ في سورة الفاتحة اطلبها وأنت صادق والله لن يخذلك.

أيضا من المفاهيم المهمة جدًا خصوصًا اليوم مفهوم عدم مساواة المؤمن بالكافر أوعدم مساواة المؤمن بالفاسق.

الله –عزَّ وجلَّ– كثيرا في القرآن يقول: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ}[1] والمشكلة أنه في الظاهر الفاسق أحسن من المؤمن، وهنا أريد أن أنبهكم تنبيها إن شاء الله يكون في مكانه ويكون واضحًا. المجتمع المسلم فيه ثلاثة أصناف:

- صنف بعيد عن الهداية، وهذا ليس موضوعنا.
- وصنفان قريبان من الهداية وتظهر عليهم مظاهر الهداية: شخص مؤمن صادق، وشخص منافق.

قد يعيش الابن أو الابنة تجاربًا مع المنافق، فيقول الابن: (أنا رأيتهم عدَّة مرَّات في المسجد، مطلق اللحية وكذا وكذا، ثم يسرق) مثلًا، أو يفعل كذا وكذا مِن الأخطاء. وقد يكبر الابن ويقول لكِ: (أنا رأيته، قاضٍ في المحكمة ويفعل كذا وكذا مِن الأخطاء). نحن لا نحكم على أحد في هذا المجلس، إنما كل الذي نقوله إن الأمة فيها منافقين، فلا بد أن يفهم الابن أن ليس كل مَن أظهر الهداية صار مؤمنًا.

وقد يقول لكِ: أنا لا أريد أن أصبح مستقيمًا إذا كان هذا حال المستقيمين.

نقول له: أولًا الاستقامة تعني أنك أنت تنجو، والذي يترك الاستقامة معناه سيسقط.

(1) [سورة السجدة: ١٨]

الأمر الثاني: نحن لا نقيس الدين بالناس، لأنه يوجد في دين الله منافقون، ونحن لا نحكم على أحد أبدًا لأنه قد يكون واقعًا فقط في خطأ وليس منافق، فما نحكم على الناس أبدًا، لكن المقصد أنه لابد أن يفهم أنَّ هناك فئة اسمها المنافقون، فعندما يجاوره شخص–والعياذ بالله–مطلق لحيته ومقصر ثوبه، وذهب يدرس معه في مكان، وهذا الشخص أمام الناس صورته واحدة، لكن معه في السكن عنده أعمال سيئة. لا نريد أن نقول عنه منافق، لكن نقول بأن هناك أناسًا عندهم أعمال المنافقين، فالمقصد أنه لابد أن يفهم بأن هناك المؤمن وهناك المنافق، والإيمان لا بد أن يكون ظاهرًا وباطنًا، وأنا شأني أن أهتم بنفسي، وأعرف بأن هناك منافقون، والمنافقون قد يهديهم ربنا ويزدادوا إيمانًا ويستقيموا استقامة صادقة حقيقية، هذا ليس شأننا. ولا بد أن توضِّحي له بأن المنافق لا يخاف على دينه، لماذا لا يخاف المنافق على دينه؟ لأنه أصلًا يرتدي الدين كالعباءة، فلا يفضح نفسه أبدًا، أي أنه سيبقى متمسِّكًا بالعباءة، لكن ما حال المؤمن؟

المؤمن صادق في ذلك، فعندما تخرج منه الأخطاء أو يخرج عنه عدم الاستقامة، يخاف على نفسه جدًا، يخاف على نفسه أن الذي في داخله يظهر للناس. لكن ذاك المنافق ماذا يفعل؟ كأنه واضع صورة واحدة في الأمام، فالناس عندما يقولون: (نحن خائفون على ديننا، خائفون أن ننقلب على ديننا). لن تجده خائفًا، لماذا؟ لأنه مِن الخارج لا أحد يستطيع أن يكتشف أنه انقلب على الدين أو لم ينقلب، فهو مِن الخارج صورة واحدة. لا يخاف على دينه، لأنه في الخارج لا أحد يستطيع أن يعرف هل انفلت عن دينه أو لم ينفلت، صورته واحدة تمامًا. فهو يقول لنفسه: حتى لو شككت في الدين أو وقعت في شيء، لا بد أن أبقى أقول نفس الكلام الذي يقوله الناس، لن أقول كلامًا مختلفًا عنهم. فهو لا يخاف على نفسه أن تتغيَّر صورته. لكن المؤمن يعلم بأن قلبه يتقلَّب، فتتغير الأشياء، فيخاف على نفسه. ولو فكرتم جيدًا ستتصوروا المسألة.

الشاهد مِن هذا الكلام أن هذا الصغير كلَّما كَبُر لا بد أن يعرف بأن هناك قوم منافقون، خصوصًا المراهقين لا بد أن يعرفوا، لأن المراهق قد يأتي فيقول لكِ: (هذا الذي كنت أحترمه فَعَلَ كذا وكذا). نقول له: لا تنتقد أحدًا، لا تتبع عورات الناس، وفي المقابل لابد أن تفهم بأن هناك مؤمن وهناك منافق، ثم

اعلم أنه لا يمكن أن يكون المؤمن مثل الفاسق، لأن الله-عزَّ وجلَّ-يقول: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ}[1] وأيضًا {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}[2] الآيات كثيرة، كلها تدل على أنه لا يمكن أن يتساووا، فأنتِ تحتاجين إلى نقاش تفصيلي في عدم المساواة.

ومن أهم صور عدم المساواة أن نفْس المؤمن مطمئنة إلى الله، ونفْس الكافر والمنافق والفاسق دائمًا في حالة خوف مما يحصل لهم، لكن المؤمن عنده سنده، عنده ركنه الشديد، فلا يمكن أن يجعل الله المؤمنين كالفاجرين، كالمجرمين، كالفاسقين، لا يمكن، سواءً محياهم ومماتهم، لا يمكن، لكن مَن يفهم هذا الشيء؟ الذي ذاق طعم الإيمان، والذي يذوق طعم الإيمان يعرف أن بطنه هذه التي تجوع، لو قال: (بسم الله) على لقمة شبعت، فهو ذاق طعم الإيمان، لكن الفاسق والمنافق حالتهم مختلفة، لذلك في الحديث أن النبي-صلى الله عليه وسلم-أضاف ضيفًا مِن المشركين، فلما أضافه حَلَبَ له شاة فشرب، وكذلك الثانية والثالثة والرابعة، حتى وصل إلى سبع حلبات، أي أنه مِن سبع شياه شرب، فلما أصبح مؤمنا، حَلَبَ له فشرب مرة واحدة فقط! الإيمان يجعل حتى الحاجات البدنية مختلفة، فلا يمكن أن يكون المؤمن كالفاسق، لا يمكن أبدًا، لا نظرتهم في الحياة ولا رضاهم ولا نفسيتهم ولا قبولهم، حتى عندما يصابون بأمراض لا تجد فيهم الجزع، حتى عندما تأتيهم مخاوف ليس عندهم المواقف الهستيرية. كل هذا لا يمكن أن يتساووا فيه. فهو يفهم بأن المؤمن غير الفاسق، المؤمن غير المنافق، المؤمن غير الكافر، لايستوون، ثم ضعي أمامك كل الآيات التي توضِّح هذا المفهوم، وكل يوم سمِّعيه آية، إلى أن يستقر، إلى أن يفيض ماء بئره، فغدًا هو يقول لنفسه: (المؤمن ليس مثل الفاسق أبدًا)، هو فيما بعد سيسقي نفسه هذه المعاني.

(1) [سورة السجدة: ١٨]
(2) [سورة القلم: ٣٥ – ٣٦]

نحتسب عند الله أن نعلِّم هذا المتربِّي حقائق الأشياء.

هناك كيف هي سنن الله وهنا حقائق الأشياء، ومِن حقائق الأشياء المهمة التي نُخبر عنها أنّ الآخرة خير مِن الأولى، وهذه الجملة موجودة في سورة الضحى كما تعلمون قال تعالى: {وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى}[1] ومعناها كما تفهمون على وجه العموم أن الآخرة التي عند الله خير مِن الأولى التي في الدنيا، لكن هناك معنىً ثانٍ دقيق جدًا وله علاقة بالتربية، وهو أنَّ آخر كل أمر خير مِن أوله، بمعنى: الدراسة، الفصل، الأصحاب، الزوجة، العمل، الجامعة، التخصص، أي شيء يدخله. أوَّله يكون ضيق، وآخره يكون واسع، {وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى} هذه الآية تعني أن آخر كل أمر خير لك مِن أوَّله، فالذي يعرف هذه الحقيقة يصبر، واليوم عندما نريد أن نفهم مشكلة الطلاق مثلًا، وليس الطلاق الذي بعد عشرين أو عشرة أو خمس سنوات، إنَّما الطلاق الذي يحدث مِن أول شهر، أول سنة، أول ثلاث سنوات. مشكلته الأساسية أن هؤلاء القوم ما تربَّوا على أنَّ آخر كل أمر خير لنا مِن أوَّله. تبدأ الأمور ضيقة، ويختبر الله صبر العبد، ثم يوسِّعها عليه، لا بد أن يوسِّعها عليه! وقد ترى الرجل أول ما يتزوج المرأة، مثلا يغار على زوجته ويخاف عليها، ففي الأول يقول لها: (أنا لن أسمح لكِ بالذهاب إلى السوق إلَّا مرَّة وحدة في الأسبوع، وأنا الذي سأوصلك، وانتبهي) ويقف في المواقف ويمسكها...الخ. ثم بعد 15 سنة زواج ماذا يقول؟ لا بأس أن تذهبي مع أي أحد إلى السوق. فآخر الأمر في مقياسنا خير من أوله، هو ليس خير طبعًا لكن في نظرنا خير، فالشاهد أنه لن يبقى كما هو، ففي البداية تقول الفتاة: هل سأعيش طوال عمري مع شخص مثل هذا؟! فنقول: أولًا عمرك ليس بذاك الطويل، عمرك هذا سيذهب في غمضة عين، ثم أن طوال العمر لا يمكن أن يبقى لأحد كما هو، لابد أن تحصل تغيُّرات، والتغيُّرات هذه ستأتي لصالحك، فقط اصبري. لكن هذه القناعة ليست موجودة، والسبب أننا منذ البداية لم نخبرهم بأن آخر كل شيء أفضل من أوَّله. البنت تدخل أولى متوسط مثلًا، هذا الفصل الدراسي الأول، وبمجرَّد أن تعود تقول لأمها: (المدرسة لا يوجد بها شخص طيب، كلهم سيِّئين، ويصرخون علينا)، وكل الحكايات هذه، ولا تصبر، فماذا يحصل؟ تتحمَّس أمها معها وتقوم بتحويلها لمدرسة أخرى، وكلَّما حوَّلتها ضاقت عليهم المسائل.

(1) [سورة الضحى: 4]

إذًا نحن نحتسب عند الله أن نعلِّمهم حقائق الأشياء، ومِن ذلك قوله تعالى: {وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى} أي أنّ آخر كل شيء خير له مِن أوَّله. واتفقنا بأن أمثلة ذلك كثيرة، وانفعالاته كثيرة، لكن المطلوب أن تكون انفعالاتنا وتصرُّفاتنا ملائمة لمعارفنا.

أيضا مِن الأشياء التي لا بد أن نكرِّرها عليه مَثَل الحياة الدنيا.

فدائما نقول له: الدنيا لعب، الدنيا لهو، ثم نقرِّب المعنى أكثر إلى أن نصل أنها متاع الغرور، قال تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُور}[1] ما معنى (متاع الغرور)؟ دائما نذكِّره بالمثل، نقول له: مِثْل شخص ذهب إلى السوق، وضع كل ماله واشترى شيئًا على أساس أنه يأكل ويشرب منه، فوضعوا له صخرًا بدلًا منه، فحَمَله وتعب ووصل البيت، دفع ماله، وانفضَّ السوق، ثم فتح الكيس أو الكرتون، فوجد أنهم غشُّوه، غرّوه،كان يريد متاعًا فغُش فيه، وبالضبط هذه صورة شخص قد بنى قصرًا مليئة جدرانه بالأشياء الجميلية مهما كانت، حتى لو كانت ذهبًا، ثم وقتما تقبض روحه لن يتدخَّل شيء مِن هذا كله في الموقف، بل قبل الموت حتى لو مرض مرضًا عضالًا، هذا كله لن يكون حاجزًا عن ذلك، فلا تشتري متاع الغرور، اشتري المتاع الذي تجده وقتما تحتاجه.

فالذي يمتِّعك حقًا هو معرفة الله، الذي يمتِّعك حقًا أن تفكِّر في لقائه، الذي يمتِّعك حقًا أنك كلَّما تحتاج تسأله، وكلَّما ترجو شيئا تجده، وكلَّما تكلمت وناجيت ناجيته، لا تشتكي لغيره، كما قال النبي-صلى الله عليه وسلم-لابن عباس وهو لم يناهز الحلم ((إذا سألت فاسأل الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ

(1) [سورة آل عمران: ١٨٥]

باللَّهِ؛ وَاعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ على أنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإنِ اجْتَمَعُوا على أنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلا بِشَيءٍ قد كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ))[1]. فلا تخاف من أحد.

نكرّر عليه أنَّ الله يرانا، نكرّر عليه حقائق الأشياء، وأن كل شيء حولنا آية ودليل على الله.

الموضوع كبير ويحتاج إلى مناقشات كثيرة، أسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يبيّن لنا ويفهّمنا.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(1) رواه الترمذي في سننه (2516)، وصحَّحه الألباني.